ذراع

جاء اسم (ذراع) مرتين في القرآن الكريم ، وجاء اسم (ذَرْعًا) المشتق من المادة نفسها في موضعين آخرين ، وفي كل هذه المواضع نجد دلالة القيد والخوف، وذلك كما يلي :

١- القيد والخوف مع ذراعي كلب الفتية : حيث جاء اسم (ذراع) في قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَـٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾ [الكهف:١٨]، وتصف الآية الكريمة حال الفتية الذين آمنوا بربهم وفرّوا بإيمانهم من بطش قومهم الذين اتخذوا آلهه من دون الله تعالى ، إذ دفعهم الخوف من بطش قومهم إلى التخفي في الكهف ليكونوا آية من آيات الله تعالى إذ ضرب عليهم الرقود سنين طوالاً ، ليمكثوا في كهفهم بعيدًا عن الناس وبعيدًا عن الحياة فهم مقيدون في كهفهم بالنوم المتواصل سنين عديدة ، لا توقظهم الشمس، ولا يشعرون بالزمن ، يتقلبون وهم رقود كمن هو مقيد في السلاسل داخل السجن، فقد كان بطش قومهم والكهف والنوم قيودًا جعلتهم لا يبرحون مكانهم ولا يشعرون بزمن، وإذا كانت هذه قيود فتية الكهف فإن كلبهم يزيد عليهم بقيد آخر، هو قيد الحراسة ، فمن شأن الكلب أن يكون ماكثا في مكانه لحراسة قومه ، وهو ما يؤخذ من وصف (باسط ذراعيه بالوصيد) يقول ابن كثير: ((يقال : وصيد وأصيد : ربض كلبهم على الباب كما جرت به عادة الكلاب، قال ابن جريج : يحرس عليهم الباب وهذا من سجيته وطبيعته حيث يربض ببابهم كأنه يحرسهم ... وشملت كلبهم بركتهم فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال))[1] فاستعمال اسم (ذراع) لكلب الفتية كان مع دلالة القيد المأخوذ من حال الفتية داخل الكهف ومن حال كلبهم .

ونلحظ مع هذه الدلالة الشعور بالخوف ، وهو ما صرّحت به الآيات على لسان الفتية ، يقول تعالى: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَـٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٥ / ٨٧

عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الكهف:١٩-٢٠]، فقد كان هؤلاء الفتية يشعرون بالخوف من قومهم ، كما أن دلالة الشعور بالخوف يجعلها السياقُ لمن يرى صورتهم داخل الكهف ، يقول تعالى: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف:١٨]، فقد اقترن الخوف بالفتية أنفسهم كما اقترن بحالهم داخل الكهف وهم مقيدون بالنوم مع كلبهم ويلاحظ أن هذا الخوف جعل من الكهف قيدًا مكانيًّا لهم ، ومن رحمة الله تعالى بهم أن غشّاهم النوم.

٢- القيد والخوف مع (ذراع) سلسة الجحيم : وتأتي المرة الثانية لاسم (ذراع) في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة:٢٥-٣٢]، وهو تصوير لما سيحدث للكفار يوم القيامة من إهانة وعذاب ، ومن ذلك تقييدهم في سلاسل يسحبون بها إلى النار، وهم لا يستطيعون الفرار من مكانهم بعدما علموا ما كانوا عليه من ضلال وتيقنوا من سوء العذاب الذي ينتظرهم، وهم كما تصفهم الآيات يعانون من القيد والشعور بالخوف، وهذا القيد قيد مكاني أيضًا إذ يحيط بهم العذاب في جهنم من كل مكان، وبذلك يلحظ أن اسم (ذراع) في كلا الموضعين جاء مع دلالة القيد، والشعور بالخوف.

٣- القيد والخوف مع اسم (ذَرْعًا) في وصف حال لوط عليه السلام:

وهذا اللزوم الدلالي لاسم (ذراع) جاء أيضًا مع اشتقاق المادة (ذرع) في القرآن الكريم ، فقد جاء الاسم (ذرعها) بمعنى طولها في آية سورة الحاقة التي جاء فيها اسم (ذراع) وجاء من هذه المادة اسم (ذرْعًا) مرتين في القرآن الكريم في قوله

تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۝٧٧﴾ [هود:٧٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٣٣﴾ [العنكبوت:٣٣]، والعجيب أن هذا الوصف (ضاق بهم ذرعًا) لم يرد إلا لنبي الله لوط عليه السلام مع وجود اللزوم الدلالي لاسم (ذراع) من إحساس لوط عليه السلام والملائكة ضيوفه بالقيد المعنوي ، إذ جاء قوم لوط يطلبون الضيوف ، ومع الشعور بالخوف في هذا المقام من تكالب القرية عليه تطلب الخبائث ، وهو ما يفهم من وصف لوط عليه السلام لليوم بأنه يوم عصيب ، يقول ابن كثير: ((أي: شديد بلاؤه، وذلك أنه علم أنه سيدافع عنهم ويشق عليه ذلك))[١] مع وجود هذا اللزوم الدلالي نجد لزومًا آخرًا لاسم (ذرعًا) وهو ملازمة وصف الحزن والحرج الذي أصاب لوطًا عليه السلام، ولعله توجد مناسبة بين هذا الوصف (ضاق بهم ذرعًا) وحال قوم لوط، والسبب في ذلك أن قوم لوط ضاقت عقولهم ونفوسهم عن السبيل السوي لتصريف الشهوة إلى اعوجاج الفطرة، وكأنهم لا يرون السبيل الأرحب والأوسع الذي أشار إليه لوط عليه السلام بقوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود:٧٨] فتركوا الزواج بالنساء والتكاثر وقصروا الشهوة على الحرام ، فضيقوا على أنفسهم سبيل اللذة المباحة .

فاسم (ذَرْع) في القرآن الكريم الذي جاء مرتين لوصف شعور لوط عليه السلام، جاء مع دلالة الشعور بالخوف وتقييد الحركة بملاحقة قوم لوط لضيوف نبيهم، ودلالة التقييد والشعور بالخوف هي الدلالة الملازمة لاسم (ذِراع) مع وجود اختلاف دلالي في أن حال نبي الله لوط عليه السلام الذي جاء مع اسم (ذَرْع) لم يكن حبسًا في المكان، مثل حال أهل الكهف وحال الكفار المقيدين في السلاسل وذك في موضعيّ اسم (ذراع) .

(١) ابن كثير ، تفسير القران العظيم ، ١٩٧/٤.

وهذا اللزوم الدلالي خاص بالقرآن الكريم فلا نجد دلالة القيد والشعور بالخوف في مثل الحديث القدسي الذي جاء فيه اسم (ذراع): ((وإن تقرّب إليَّ بشبرٍ تقربت إليه ذِراعًا))[٢]

(٢) البخاري ، صحيح البخاري ، ٤ /٤٣٧ (٧٤٠٥) .

طائر

جاء اسم (طائر) الدال على الحيوان مرّة واحدة بصيغة المفرد ، وتسع عشرة مرة بصيغة الجمع ، ولذلك يظهر اللزوم الدلالي من دراسة مواضع صيغة الجمع (طير) لتعدُّد مضامينها مع ملازمتها لدلالة واحدة، ومن الممكن تقسيم هذه المواضع وفق صفات الطير فيها ، والتي يظهر من دراستها ملازمة الطير لصفات محمودة وذلك كما يلي :

أولا : صيغة الجمع (طير) :

١ - الطير المجيبة لدعوة إبراهيم عليه السلام:

حيث جاء اسم (طير) في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة:٢٦٠] الآية الكريمة تتحدث عن إظهار قدرة الله تعالى المطلقة في الخلق والبعث من جديد متمثلاً ذلك في الطير، إذ تظهر فيه هذه القدرة بما شاهد إبراهيم عليه السلام من صورة حسية باشرها بيده الكريمة ، فبعدما ذبح الطير وقطعه إلى أجزاء، دعاهنّ فلبى الطير دعوة إبراهيم عليه السلام وأتينه سعيًا، فالطير في الآية الكريمة جاء مع استعماله لإظهار القدرة على البعث والإحياء، وكان أداة في يد إبراهيم عليه السلام، ويفيد أسلوب الآية سماع الطير دعوة إبراهيم عليه السلام وإجابته هذه الدعوة .

وهذه الاستجابة من الطير لا نجدها مثلاً مع استعمال الحمار في إظهار قدرة البعث عندما بعثه الله تعالى مع عزير عليه السلام ، ولا نجد في القرآن الكريم وصفًا للحيوان بأنه يسمع كلام أحدٍ من البشر إلا الطير ، فالطير هنا سمع إبراهيم عليه السلام وأجابه بأمر الله تعالى ، ولا يصف القرآن الكريم النمل بأنه سمع سليمان عليه السلام وإنما عرفت جماعة النمل سليمان وخشيت من قوته ، وسمع سليمان مقولة النمل، ولم يرد في القرآن الكريم أن تحدث سليمان إلى النمل وإنما تحدث إلى الهدهد وهو نوع من الطير ، وهذا يتوافق مع هذا الموضع في سورة البقرة الذي ضرب الله تعالى فيه للبعث مَثلين، أحدهما كان ببعث عزير وحماره ولم ويوصف

الحمار بنطقه أو سماعه أحدًا من البشر ، يقول تعالى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِۖ﴾ (البقرة: ٢٥٩) أما المثال الثاني للبعث فقد كان ببعث الطير الذي تصفه الآيات بمباشرة يد إبراهيم عليه السلام لهذا الطير ، وتصفه بسماعة دعوة إبراهيم وتلبيتها، وهو ما دل عليه قوله تعالى (يأتينك) بحصول فعل الإتيان لإبراهيم ، لأن الفعل هنا (يأتي) جاء مع كاف الخطاب المفعول به ويراد بها إبراهيم عليه السلام ، فيقع (يتحقق) فعل الإتيان على إبراهيم عليه السلام، وكان من الممكن إفادة معنى البعث بفعل آخر ليس معه المفعول به مثل : يطرن ، يجرين سعيًا ، وهو ما لا يدل على استجابة الطير لدعوة إبراهيم والذهاب إليه.

٢ - **الطير معجزة لعيسى عليه السلام بمباشرته لصنعها ثم إحياء الله تعالى لها :**

وجاء الطير بوصفه معجزة دالة على قدرة الله تعالى على الخلق أجراها على يد نبيه عيسى عليه السلام ، يقول تعالى: ﴿أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡۖ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران:٤٩]، ويقول تعالى: ﴿وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ﴾ [المائدة:١١٠]، وفيما يبدو من الآيات أن معجزة الطير كانت أقوى في الإعجاز من غيرها؛ لأنها معجزة خلق لأول مرّة، وهو أصعب من الخلق الثاني برد الروح (إحياء الموتى) كما أن هذه المعجزة كانت بصنع هيئة الطير أي شكله وهو ما وصفته الآية بالخلق، ثم يهب الله تعالى هذا الشكل الحياة ليكون طيرًا حقيقيًا، فهي معجزة تتصف بمباشرةِ يد عيسى عليه السلام بصنعها، فهذه القدرة التي أعطاها الله تعالى لعيسى عليه السلام على صناعة الهيئة من الطين ، إظهار لقدرة بعث الحياة فيما لم يتولد من زوجين ، وهو مثيل لما حدث لعيسى عليه السلام، وهذه المعجزة تكريم للمسيح بإجراء هذه القدرة على يديه، وتكريم لهذا المخلوق (الطير) بأن جعل الله تعالى صنع الطير بيد نبي، وهو يشبه

تكريم آدم عليه السلام بأن خلقه الله تعالى بيده ، فاسم (طير) في سورتي آل عمران والمائدة جاء مع استعمال الطير في إظهار قدرة الله تعالى على الخلق والإحياء، واستعماله في إظهار صدق دعوة المسيح عليه السلام لبنى إسرائيل الذين كانوا يحتاجون إلى آياتٍ مبهرة بالغة في الإعجاز الحسي، كما أن في الآيات ما يفيد تميَّز هذا الطير عن غيره بأن صنع هيئته نبي من أنبياء الله تعالى.

٣ - الطير المظهرة لمعجزة يوسف عليه السلام بتصديق تأويله للرؤيا :

فقد جاء اسم (طير) في قصة يوسف عليه السلام مع صاحبي السجن، يقول تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْأَخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [يوسف:٣٦]، وقد أخبر يوسف صاحبيه أن الله تعالى قد أعطاه القدرة على التأويل الصحيح للرؤيا، يقول تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يوسف:٣٧]، فقد ربط يوسف عليه السلام بين تأويله للرؤيا التي شاهدوها ودعوة التوحيد، فجعل تأويله للرؤيا من المعجزات التي أعطاها الله تعالى له لأنه ترك ملة الشرك وتوجه إلى التوحيد ملة آبائه الأنبياء، وبعدما دعا يوسف صاحبيّ السجن إلى التوحيد أخبرهما بتأويل الرؤيا ، يقول تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ [يوسف:٤١]، فالطير هنا جاء مع إظهار معجزة يوسف عليه السلام في تأويله للرؤيا ، وهى المعجزة التي خرج من السجن بسببها ، وتمكّن من المُلك ، وكرّم أبويه ، إذ أخبر الناجي من صاحبي السجن المَلك عن معجزة يوسف وظهور هذه

المعجزة بتحقق التأويل حدث مرتين ، بنجاة الساقي مرّة، وبصلب الآخر مرّة ثانية، فالرؤيا التي جاء فيها اسم (طير) تؤكد معجزة يوسف ، إذ لو كانت رؤيا واحدة فقط لما ظهر تَمكُّن يوسف من التأويل وأنه عِلم من الله تعالى وليس اجتهادًا يخطئ ويصيب .

وقد ذكر المفسرون أن سبب سجن صاحبي يوسف اتهامهما بمحاولة سمّ المَلك، يقول ابن كثير: ((كان سبب حبس الملك إياهما أنه توهم أنهما تمالآ على سمّه في طعامه وشرابه)) [1] فهما اثنان اتّهما بسمّ الملك ، عاد أحدهما مرة أخرى للمَلِك ليتولى السقاية ، وصلب الآخر ، وهذا يدل على أن الأول ثبتت براءته ، وإلا ما كان ليعود للعمل نفسه الذي اتهم بالخيانة فيه ، أما الثاني فيدل صلبه على ثبوت التهمة عليه عند من سجنوه ، فإذا كان هذا الأخير مذنبًا حقًا ومستحقًا لهذا الجزاء ، فإن أكل الطير من رأسه عداءٌ من الطير لمن أذنب بالخيانة ، فصورة أكل الطير من رأس الخائن تدل على انتقام الطير ممن يخون ومناصرة الطير للحق .

وأيًا ما كان الأمر فإن الآيات لاتصف الطير بدلالة سيئة كما وصف القرآن الكريم صوت الحمير مثلاً ، وإنما جاء استعمال الطير في الرؤيا التي بسردها وتأويلها تظهر معجزة يوسف عليه السلام وتعليم الله تعالى له تأويل الأحاديث ، وسبب خروجه من السجن وتمكّنه في الأرض، فاسم (طير) جاء مع دلالة نصرة الأنبياء وإظهار معجزتهم .

٤ -الطير المسبحة مع داود والمُسَخَّرة لسليمان والمتحدثة معه بدعوتها للتوحيد:

فإذا كان استعمال اسم (طير) في المواضع السابقة جاء مع دلالة إظهار قدرة الله تعالى على البعث والخلق وإظهار معجزة الأنبياء مقترنًا فيه الطير بتأييدهم لأنبياء الله تعالى ، وهي دلالة محمودة ، فإن القرآن الكريم في مواضع أخرى يصرح بوصف الطير بالعبادة والتسبيح ، وهو وصف صريح للطير بدلالة محمودة ، فجاء استعمال اسم (طير) في وصف تسبيحها مع داود عليه السلام، يقول تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:٧٩]،

فالطير هنا تجمع بين فضيلتين الأولى التسبيح لله تعالى ، والثانية تسخيرها لداود وتسبيحها معه، وهذه الفضيلة الثانية كفضل أداء عبادة كالحج مع النبي ﷺ ،

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٤ / ٢٢٤

فالطير تسبح مع نبي الله داود ، وهى مسخرة لذلك مع الجبال التي جاء وصفها في القرآن الكريم بخشوعها لتجلي الله تعالى وكلامه ، ففي الآية وصف محمود للطير ، ومثلها في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ﴾ [سبأ:١٠]، وفي الآية شرف توجه الأمر من الله تعالى بندائه المباشر للجبال والطير بترديد الذكر مع داود عليه السلام ، وجاء هذا الوصف أيضًا في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [ص:١٨-٢٠]، فالطير تجمع بين التسبيح والإنابة (الاستغفار والتوبة) وهي مسخرة لنبي من أنبياء الله تعالى ، جعلها الله تعالى تأييداً له ومن مظاهر ملكه وقوته .

وهذه النعمة التي أنعم الله تعالى بها على داود عليه السلام أعطاها الله تعالى لسليمان عليه السلام ، يقول تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النمل:١٦- ١٧]، وفي هذا الموضع الذي يصف الطير بأنه جند من جنود أنبياء الله تعالى، يأتي وصف حديث سليمان عليه السلام مع نوع من الطير هو الهدهد، وتذكر الآيات خوف النمل من سليمان وجنوده دون تحدثها إلى سليمان، يقول تعالى عن حديث الطير لسليمان ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [النمل:٢٢]، فهذا الطير كان أعلم في هذه الحال من سليمان عليه السلام، وامتلك من الجرأة أن يقول لسليمان عليه السلام أنه يعلم ما لا يعلم سليمان النبي الملك، ولم يكن هذا الهدهد مبلّغًا عن حال قومٍ مشركين وحسب ، وإنما كان طيرًا داعياً للتوحيد وغيورًا عليه ومتحسرًا على حالهم ، فبعدما ذكر أنهم يسجدون للشمس علل ذلك في حسرة بقوله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ

لَا يَهۡتَدُونَ﴾ [النمل:٢٤]، وقد أخذته الغيرة على التوحيد فجاء بأسلوب التحضيض في قوله: ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل:٢٥-٢٦]، فكان ذا الهدهدُ هدهدَ هداية ، فسبحان من انتقى الأسماء للمعاني ، وكان هدهد خير وبركة ، وكان عالمًا داعيًا ومتحدثًا للأنبياء بما يبصرهم ويؤيد دعوتهم لله تعالى .

فإذا كانت صورة الطير مع إبراهيم وعيسى ويوسف عليهم السلام تأتي بوصفه أداة إظهار قدرة الله تعالى ومعجزة أنبيائه، فإن صورة الطير مع داود وسليمان تفصح عن الدلالات المحمودة التي جاء بها وصف الطير في القرآن الكريم، فهي مُسَخَّرة للأنبياء، مسبّحة لله تعالى، داعية لدينه.

٥ - الطير المسبحة حال طيرانها:

حيث جاء وصف الطير بالتسبيح منفردًا بإطلاق هذه الصفة على الطير عامة ، وليس وصفًا يخصّ الطير الموجود مع داود وسليمان، يقول تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور:٤١]، وهذه الآية الكريمة تربط بين وصف صافات للطير ووصفها بالتسبيح ، حيث جاء اسم (صافات) منصوبًا على الحالية ، فدل ذلك على تسبيح الطير حال كونها صافات ، يقول ابن كثير: ((أي في حال طيرانها تسبح ربها، وتعبده بتسبيح ألهمها وأرشدها إليه))[1] وهذا الربط بين صورة الطير (صافات) وفعلها (التسبيح) يجعلها شبيهة بالمسلمين في صلاتهم، وهو أيضًا وصفهم في جهادهم، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٥ / ٣٦٦

سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ [الصف:٤]، وفي آية سورة النور التي تصف تسبيح الطير تخصيص بعد العموم ، فإذا كان من في السماوات ومن في الأرض يسبح لله تعالى ، فإن الآية تخص بعدها الطير والتخصيص بعد العموم يدل على شدّة تمكن الصفة من الاسم المخصص أكثر من غيره ، فدل ذلك على تمكن صفة التسبيح من الطير وهو تشريف له إذ إنه طير مسخر للعبادة .

وجاء وصف تسخير الطير في السماء بأنه آية للمؤمنين لأنه يذكرهم بقدرة الله تعالى ، وبالتسبيح والعبادة، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [النحل:٧٩]، فهو حيوان مسخر لما أراده الله تعالى، ويأتي وصفه بالتحليق في جو السماء تصويرًا لما وهبه الله تعالى لهذا الحيوان من حرية في الحركة ورفعه في المكان ، وقد كان من الممكن تصوير تحليق الطير دون ذكر المكان وهو ما لا يعطي لهذه الصورة جمال المكان ورفعته، وخير ما فيه وبركته، وصورة التحليق في جو السماء هي الصورة المقترنة بالتسبيح في سورة النور حيث اقترن تسبيح الطير بوصفه (صافات) وهو الاسم الذي جاء في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [الملك:١٩] فوصف الطير بصافات فضلاً عن كونه وصف لصورة بديعة ومنظمة للطير ، فإنه وصف اقترن بالتسبيح في موضع سورة النور، وهو وصف للملائكة الكرام التالية لذكر الله تعالى الداعي للتوحيد، يقول تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾﴾ [الصافات:١ ـ٤]، وهو وصف للملائكة عليهم السلام كما ذكر المفسرون كابن كثير الذي استشهد بما رواه مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((فُضِّلْنا على الناس بثلاث : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدًا، وجعلت لنا تربتها طهوراً إذا لم نجد

ماءً))[١] فاسم (صافات) وصف للملائكة ووصف للطير في تسبيحها وصلاتها لله تعالى وتلاوة كلامه الكريم ، وهو ما جعله الله تعالى للمسلمين في صلاتهم التي يسبحون فيها الله تعالى ويصطفون فيها يتلون كلامه.

ويلاحظ أن في موضعي وصف تحليق الطير في سورة النحل وسورة الملك جاء إسناد فعل إمساك الطير في جو السماء إلى الله عز وجل بأسلوب الحصر (ما يمسكهنّ إلا الله – ما يمسكهنّ إلا الرحمن) إظهارًا للقدرة في صورة الطير، وتشريفًا للعمل بإسناده إلى الله تعالى ، ورحمة منه سبحانه بخلقه، إذ يكون الله تعالى وحده هو المعين والمدبر لهذا المخلوق المسبح لله تعالى الذي جاء وصفه في الحديث الشريف بحسن توكلّه على الله تعالى، فيقول رسول الله ﷺ:((لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا))[١] فالطير أفئدة تشبهها أفئدة المتوكلين على الله تعالى، وهم الذين ترقّ أفئدتهم لما فيها من الرحمة والخشية، يقول ﷺ: ((يدخُلُ الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير))[٢] فوصف الطير في الحديث النبوي يوافق صورة الطير في القرآن الكريم، حيث لازمت الاسم صفات محمودة، ومنها عبادة الطير لله تعالى .

٦ - الطير المناصرة لدين الله تعالى المعادية للكافرين:

حيث جاء اسم (طير) مع ما يفيد معاداة الطير للكافرين وذلك نصرةً لله تعالى ، يقول تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١]، فالطير تعادي المشرك بالله وتأذيه جزاء إشراكه، ومثل ذلك ما حدث لأصحاب الفيل ، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [سورة الفيل]، فهؤلاء

---

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٣/٧ والحديث في صحيح مسلم ١٦٣/١ (١١٣٨)
(١) النووي ، رياض الصالحين ، ٤٩ (٧٩)
(٢) نفسه ، ٤٨ (٧٧)

المعتدون على بيت الله الحرام نالوا جزاء اعتدائهم بما أرسله الله تعالى على رؤوسهم من طيرٍ أبابيل (جماعات كبيرة) تحمل لهم حجارة صلبة مهلكة لهم، فالطير هنا مدافعة عن البيت الحرام معادية لمن أراده بسوء ، فهي جند مقاتل من جنود الله تعالى، يخرج عن طبيعته ويتحوّل إلى مقاتل يحمل ما يرمى به عدوه، فهناك فرق بين جنود الله تعالى المهلكة بطبيعتها كالريح أو الرعب أو الطوفان أو الزلازل أو كثرة الجراد الآكل للزرع، وجنود الله تعالى التي تتغير طبيعتها لتُسخَّر في القتال وهى ليست كذلك أصلاً، فأن تحمل هذه الكائنات حجارة لترمى بها أعداء الله تعالى فهو ما يدل على طواعية الطير للتحوّل بما فيه طاعة الله عز وجل وهي قدرة وهبها الله تعالى للإنسان، فهو يجمع بين الوداعة والشراسة ، وبين الحلم والغضب، فمِن عظمة خَلق الإنسان أنه يتنوَّع في أفعاله ، وهو ما نجده في الطير إذ يتنوَّع من وداعة التحليق مسبحًا لله تعالى إلى قتال المعتدين على بيت الله الحرام، فهو يتنوع في أفعاله ويسخرها لله تعالى .

٧ - الطير طعام لأعلى أهل الجنة منزلة :

وجاء اسم (طير) بوصفه طعامًا في الجنة لأعلى أهلها منزلة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ۝٢١﴾ [الواقعة:٢٠-٢١]، ويختلف الحديث عن نعيم أهل الجنة في سورة الواقعة عن غيرها من السور؛ لأن سورة الواقعة (وكذلك سورة الرحمن) توضح أن هناك صنفين من أهل الجنة، الصنف الأول هم السابقون المقربون ، والصنف الثاني هم أهل اليمين، والصنف الأول لهم نعيم أعظم ، وهم في درجة أعلى من الصنف الثاني، ومع هذا الصنف الذي له درجة أعلى جاء نعيم لحم الطير للسابقين المقربين، وهذا يدل على فضل هذا النعيم عن غيره، حيث لم يأتِ للصنف الثاني من أهل الجنة، وكذلك لم يأتِ في وصف طعام أهل الجنة دون الحديث عن وجود صنفين من أهلها، حيث جاء ذكر طعام أهل الجنة من اللحم دون تخصيصه بالإضافة إلى الطير في قوله تعالى: ﴿وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ۝٢٢﴾ [الطور:٢٢]، ولم يحدد سياق هذه الآية نوع هذا اللحم كما لم يتحدث عن وجود صنفين من أهل الجنة ، وقد جاء تحديد نوع اللحم بوصف لحم الطير طعامًا لأعلى أهل الجنة منزلةً ، وهو ما يدل على مزية الطير ، فضلاً عن وصفه بأنه طعام لأهل الجنة.

ومن هذه الصفات التي وردت في القرآن الكريم نجد أن الطير في القرآن الكريم جاء استعماله في إظهار قدرة الله تعالى على البعث ، كما وصف الطير بأنه مسبح وأوّاب لله تعالى ، وجاء الطير نصيرًا للأنبياء ومجيبًا لدعوتهم ومصدقا لمعجزتهم ، وناصرًا لدعوة التوحيد معاديًا لمن كفر بها ، وليس عداء الطير للكفار بالقلب وحسب وإنما يتحوّل الطير لمقاتل يتخطف الكفار ويرميهم ، ولهذا الطير بهذه الصفات الإيمانية مكان في الجنة ، بل هو في أعلى درجات الجنة ، فاسم (طير) بصيغة الجمع جاء في القرآن الكريم مع لزومه للدلالات المحمودة ووصفه بالصفات الإيمانية .

ويؤكد هذا اللزوم الدلالي حديث القرآن الكريم عن الهدهد ، فقد جاء اسم (هدهد) مرة واحدة وذلك في سورة النمل الآية (٢٠) وما بعدها ، ووصفه القرآن الكريم بالعلم والإيمان والغيرة على التوحيد وحبه للخير لجميع الناس ، وقد سبق الحديث عنه في مواضع الطير المسبحة مع داود والمسخرة لسليمان .

ومما يتوافق مع هذا اللزوم الدلالي لاسم (طير) استعمال القرآن الكريم لاسم (سلوى) مع ما يفيد امتداح هذا النوع من الطيور، حيث جاء اسم (سلوى) ثلاث مرات في القرآن الكريم ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ ﴾ [البقرة:٥٧]، وكذلك في سورتي الأعراف (١٦٠) وطه (٨٠) والسلوى طائر أنعم الله تعالى به على بني إسرائيل وامتنّ به عليهم ، وجاء وصفه في القرآن الكريم بأنه من الطيبات ، وبأنه منزل تشريفًا له ، فهو مخلوق من عند الله تعالى جاء الحديث عنه مع الفعل (أنزلنا) ولعلّ ذلك ما دعا بعض المفسرين - فيما ذكره ابن كثير – إلى قولهم عن السلوى:((طير كطير يكون بالجنة))[1] وأكدّ القرآن الكريم مزية هذا الطير عن غيره من الطعام إذ استنكر على بني إسرائيل رغبتهم في طعام غيره ، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ﴾ [البقرة:٦١] يقول ابن كثير: ((إنما

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ١ / ١٢١

قالوا (عَلَى طعَامٍ وَاحِدٍ) وهم يأكلون المنّ والسلوى لأنه لا يتبدّل (أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) فيه تقريع وتوبيخ على ما سألوه من هذه الأطعمة الدنيئة مع ما هم فيه من الرغِيد والطعام الهنيء الطيب النافع))[1] فالقرآن الكريم وصف السلوى بأنه خير ومن الطيبات ومنزل من عند الله تعالى، وامتنّ الله تعالى به، فهو طير لازمه وصفه بالصفات المحمودة.

وكذلك جاء في القرآن الكريم اسم (غراب) وذلك مرتين في موضع واحد ، يقول تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائدة: ٣١]، وصورة الغراب في الآية تخالف صورة الغراب عند العرب ، إذ كانوا يتشاءمون منه ، يقول الجاحظ عن الغراب: ((فتشاءموا به وتطيَّروا منه))[2] ونقله الثعالبي وقال: ((وليس في الأرض بارح ولا قعيد ولاشيء ممّا يُتشاءم به إلا والغراب عندهم أنكد منه))[3] فإذا كان اسم (غراب) عند العرب يدل على التشاؤم ، فإن القرآن الكريم يصف الغراب بأنه مبعوث من الله تعالى ، أي رسول معلم جاء ليعلم ابن آدم كيف يواري سوءة أخيه الميت بدفنه ، فلم يأتِ الغراب في القرآن الكريم بوصفه بصفه سيئة كقتل الغراب لأخيه، كذلك لم يأتِ دون وصف، وإنما جاء مع وصفه بصفات محمودة ، فهو معلمُ للستر، ومبعوث من الله تعالى.

فاستعمال القرآن الكريم لأسماء (الهدهد، السلوى، الغراب) يتوافق مع استعماله لاسم (طير) الذي لازمته الدلالات المحمودة والصفات الإيمانية الداعي لها.

---

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ١ / ١٢٥

(٢) الجاحظ ، الحيوان ، ٢/٣١٥

(٣) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ٤٥٩

إعجاز تسمية الطائر باسم يدل على القصة الوارد فيها :

ومن عجيب قدرة الله تعالى أن جعل مناسبةً بين هذه الأسماء (الهدهد، السلوى، الغراب) وأحداث القصة التي ورد فيها كل اسم ، وكأنّ كل طائر من هذه الطيور سُمي بالاسم الذي سيدل على القصة التي سيشارك في أحداثها ويذكره القرآن الكريم فيها.

فنجد مناسبة بين اسم (هدهد) المكوّن من حرفيّ الهاء والدال وأحداث القصة التي ورد ذكره فيها، وذلك من جهتين:

الجهة الأولى: استعمال الهدهد في الهداية ، إذ كان حريصًا على هداية قوم سبأ، وكان مما يشغله تفقّد أحوال الناس والسعي لهدايتهم فهو مبعوث هداية، ثم أرسله سليمان عليه السلام بكتابه الداعي للهداية ، يقول تعالى: ﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل: ٢٨-٣١]، فالهدهد رسول رسول الله للهداية، ويلاحظ هذا التوافق اللفظي بين اسم (الهدهد) واسم (الهداية) فكلاهما مكوّن من حرفيّ الهاء والدال.

الجهة الثانية: استعمال الهدهد في القصة الوحيدة في القرآن الكريم التي جاء فيها لفظ (الهدية) فالهدهد هو الذي أخبر سليمان عليه السلام عن حال قوم سبأ وملِكتهم ، فأرسله سليمان عليه السلام بكتابه إلى ملِكة سبأ، التي أرسلت إليه بهدية، يقول تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [النمل:٣٥-٣٦]، والعجيب أن الموضع الوحيد في القرآن الكريم الذي يرد فيه لفظ (هدية) هو نفسه الموضع الوحيد الذي يتحدث عن الهدهد، فجاء اسم (هدهد) مع أحداث القصة الوحيدة التي جاء فيها الحديث عن الهدية، وهنا نجد

التوافق اللفظي بين اسم (هدهد) واسم (هدية) فكلاهما مكوّن من حرفيّ الهاء والدال .

فلماذا لم يرد الحديث عن الهدية أو اسم (هدية) في أيّة قصة أخرى من قصص القرآن الكريم؟! ولماذا جاء اسم (هدية) في القرآن الكريم مع اسم (هدهد) في قصة واحدة ؟! إنها قدرة الله سبحانه وتعالى على أن يكون الطائر مسخّرًا للأحداث التي ستناسب اسمه .

وإذا كان في مقدور البشر التجميع بين الألفاظ متقاربة النطق في نسق واحد بما يعرف بفن الجناس ، فإن هذا التقارب في القرآن الكريم بين اسم (هدهد) واسم (هداية) أو اسم (هدية) ليس من باب الجناس المألوف عند البشر؛ لأن القرآن الكريم لم يجمع بين اسم (هدهد) واسم (هداية) أو اسم (هدية) في نسق واحد تتجاور فيه هذه الأسماء ، وإنما جاء اسم (هدهد) في بداية القصة التي تتحدث عن غياب الهدهد ، ثم يأتي الحديث بعد عدد من الآيات عن هداية قوم سبأ، ومعنى اسم (الهداية) حاضر في الآيات أكثر من لفظه ، وبعد ذلك بآيات عديدة يأتي اسم (هدية) فلا يوجد تجاور لأسماء (هدهد ، هداية ، هدية) وإنما تواجد في أحداثٍ القصة الواحدة مع التباعد فيما بينها ، وهو التباعد المثير للتأمل في المعنى بذكاء ، والتأمل في إحكام النص القرآني، ولا ينشغل بمجرد التوافق الصوتي بين الكلمات المتجاورة .

وكذلك نجد مناسبة بين اسم (سلوى) وأحداث القصة الوارد فيها الاسم، والسبب في ذلك أن اسم (سلوى) مشتق من مادة (سلا) التي يُشتق منها الألفاظ الدالة على الكشف ، يقول ابن منظور: (سلاّني من همّي تسلية أي كشفه عنّي، انسلى عني الهم تسلّى بمعنى انكشف)[1] ودلالة الكشف دلالة رئيسيّة في أحداث القصة الوارد فيها الاسم ومتكررة فيها .

حيث جاء اسم (سلوى) في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم هي قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة:٥٧]، ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ﴾ [الأعراف:١٦٠]، ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (سلا) ٣٩٤/١٤

عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾﴾ [طه: ٨٠]، وذكر المفسرون أنه اسم لطائر أنعم الله تعالى به على بني إسرائيل عندما كانوا في التيه بعد رفضهم دخول الأرض المقدسة مجاهدين، فجاء ذكره في القرآن الكريم في سرد قصة بني إسرائيل مع فرعون ومع موسى عليه السلام، ونجد في هذه المواضع دلالة الكشف كما يلي:

١- كشف بلاء فرعون عن بني إسرائيل، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [البقرة:٤٩]، فقد كان عذاب فرعون لبني إسرائيل همًّا وغمًّا كشفه الله تعالى عنهم .

٢- العفو عن بني إسرائيل بعد اتخاذهم العجل ، فكشف الله تعالى عنهم هذه الغمّة ، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [البقرة ٥١-٥٢] وعبادة العجل ضلال وفتنة لبني إسرائيل ، يقول تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾﴾ [طه:٨٥] وهمّ وغمّ لموسى وهارون عليهما السلام، يقول تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ﴾ [طه:٨٦]، وكذب وتدليس من السامري، الذي ادّعى أنّ أمورًا غيبية انكشفت له، يقول تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾﴾ [طه:٩٦]، فانكشف الضلال والتدليس ، وانكشف الهم والغم.

٣- طلب بني إسرائيل رؤية الله تعالى جهرة أي مكاشفة ، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [البقرة:٥٥]، ثم كشف الله تعالى عنهم العقاب وبعثهم من جديد، فانكشفت لهم حقيقة جرمهم وحقيقة قدرة الله تعالى على الموت والبعث.

كما نجد دلالة الكشف في حديث السياق في سورة الأعراف عن طلب موسى عليه السلام من الله تعالى: (أرني أنظر إليك) وتجلي المولى عز وجل للجبل، يقول تعالى : ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ [الأعراف:١٤٣].

٤- خروج طائر السلوى منكشفًا من الغمام: حيث يربط السياق بين الغمام وطائر السلوى ، يقول تعالى: ﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة: ٥٧]، وهنا لابد أن نتأمل في كيفية هذه النعمة ودلاللتها على الكشف ، يقول ابن كثير في تفسيره للغمام: (جمع غمامة ، سمي بذلك لأنه يغم السماء أي يواريها ويسترها ، وهو السحاب الأبيض ظُلّلوا به في التيه ليقيهم حرّ الشمس)(١) والغمام يفيد دلالة الكشف ؛ لأن وجوده يفيد خروج طائر السلوى من وسط الغمام ، فينكشف الطائر ويظهر لهم من الغمام، كما يدل الغمام على الكشف بدلالة الشيء على ضدّه ، خاصة وأن الغمام كان في فترة التيه ، ثم انكشف بانقضاء هذه الفترة ، يقول تعالى في الآية التالية لوصف حال بني إسرائيل في التيه : ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [البقرة:٥٨]، فوجود الغمام دلالة صريحة على الكشف.

وبذلك نجد أن دلالة الكشف موفورة في القصة التي يرد فيها اسم (سلوى) فالسياق تحدث عن كشف البلاء والغم ، وهي فكرة رئيسية في السياق، وأفاد معنى الكشف في طلب بني إسرائيل رؤية الله تعالى جهرة، وتحدث عن كشف العقاب والبعث من جديد حيث تنكشف الحقائق بعد الموت والبعث ، وتحدث عن الغمام حيث ينكشف منه طائر السلوى ، وينكشف الغمام نفسه بعد فترة التيه ، ودلالة الكشف هي ما نجدها في مشتقات مادة اسم (سلوى) فاسم الطائر يدل على أحداث القصة الوارد فيها.

وكذلك جاء اسم (غراب) دالاً على القصة التي ورد فيها، فما أعظم الكتاب وما أجل قدرة مُنزله ! إذ بعث الله طائرًا اسمه (غراب) لأغرب حدث يفعله الإنسان ، وهو قتل الإنسان لأخيه، في أول هدمٍ لبنيان الله على الأرض، يقول تعالى: ﴿فَطَوَّعَتۡ

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١١٨/١

لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائدة: ٣٠-٣١]، ويدلّ الفعل (طوّعت) على غرابة الحدث ونكرانه، فمن الغريب حقًا أن يدمر الإنسان نفسه برغبة البقاء ، فهو حدث غريب ، وبسببه وجد القاتل نفسه أمام وضع غريب إذ وجد جثة أخيه لا يعرف كيف يواريها ، فتعجب من فعله وجهله قائلاً : يا ويلتى!! أعجزتُ أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي؟!! فما أغرب الإنسان بتكوينه النفسي واندفاعه لفعل ما يأسف عليه ، وما أغرب ما تحدثه أفعاله من خراب، وما أغرب أن تكون المخلوقات الأخرى أحسن عملاً من الإنسان وتعلّم الإنسان ، وهكذا جاء اسم (غراب) في القرآن الكريم في القصة التي تقصّ غرابة الإنسان في إحداث ما هو غريب على الأرض.

فهذه الأسماء (هدهد ، سلوى ، غراب) جاءت دالة على أحداث القصص التي وردت فيها ، ويظهر هذا الإعجاز إذا ما تخيلنا أن هداية قوم سبأ كان سببها طائر السلوى لا الهدهد ، أو أن طائر الهدهد هو الذي يعلّم قاتل أخيه كيف يواري سوأته ، أو كانت القصة دون تحديد اسم الطائر ، فعندها لن نجد هذه العلاقة الدلالية بين اسم الطائر وأحداث القصة الوارد فيها.

وإنه لعجب ؛ هل سَمَّى الله سبحانه وتعالى هذه الطيور بهذه الأسماء علمًا مسبقًا بما سيحدث منها ؟ أم أنه يَسّر لهذه الطيور الأفعال المناسبة لأسمائها ؟ وأيًّا ما كان السبق فإن الأكيد أمامنا أن النص القرآني المعجز يثبت أنه من عند الله تعالى، إذ لا يمكن لغير المولى عزّ وجلّ أن يُحكِم القصص ليكون اسم الطائر دالاً على فعله مع كل اسم ، من غير تكلّف للأحداث ، ومن غير خرافاتٍ لا يقبلها العقل ، ومن غير إقحامٍ للاسم في القصة ، والسبب في ذلك أن هذا الإعجاز ليس إعجازًا بلاغيًّا في القول ، وإنما إعجاز القدرة الإلهية بتسخير الكائنات للأحداث المناسبة لأسمائها ، إظهارًا لقدرة الله تعالى وعلمه المسبق ، ولذلك لا نجد تكلّفًا في الربط بين اسم الطائر وأحداث القصة الوارد فيها ، ومما يدل على عدم وجود التكلّف أن المفسرين والدارسين لكتاب الله تعالى لم يلحظوا هذه العلاقة بين اسم الطائر والقصة ، وإنما ظهرت في دراسة اللزوم الدلالي للاسم لأنها معنيّة بالبحث عن العلاقة بين الاسم والسياق ، فسبحان من أحكم آياته فلا نرى فيها عوجًا ، ولو كانت من عند غير الله تعالى لوجدنا فيها اختلافًا كبيرًا.

ثانيًا : صيغة المفرد (طائر) :

ومن بديع الأداء القرآني أن يوجد اللزوم الدلالي للاسم في صيغة معينة كصيغة الجمع (طير) ثم يعدل عن هذا اللزوم الدلالي عندما يستعمل صيغة أخرى كصيغة المفرد (طائر) لأداء هذه الصيغة معنيين أحدهما الحيوان المعروف ، والثاني العمل والقدر ، فجاء لزوم دلالي آخر لصيغة المفرد (طائر) يجمع بين مواضع هذه الصيغة مع اختلاف مضامينها، ليكون اللزوم الدلالي مرتبطًا بالصيغة وشكل الاسم ، وليس مرتبطًا بمعنى الاسم ، فلصيغة الجمع (طير) لزوم دلالي ، ولصيغة المفرد (طائر) لزوم دلالي آخر ، فإذا كانت صيغة (طير) وصيغة (طائر) بمعنى واحد في استعمال البشر ، فإن لكل صيغة لزومًا دلاليًا خاصًا بها في استعمال القرآن الكريم .

حيث جاءت صيغة المفرد (طائر) خمس مرات ، مرّة واحدة بدلالتها على الحيوان ، يقول تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام:٣٧- ٣٩]، فالسياق هنا يتحدث عن المكذبين للوحي، ويشبه وجود الناس وموتهم بما يرونه من الحيوانات ، فجميعهم مخلوق من عند الله تعالى وتكفّل الله تعالى برزقهم ولا يعزبُ عنه حالهم ، ثم إليه يحشرون.

وجاءت صيغة المفرد (طائر) أربع مرات بغير دلالتها على الحيوان المعروف وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأعراف:١٣١]، ويقول تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ

يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ [الإسراء:١٣]، وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [النمل:٤٧]، وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يس:١٩]، ففي هذه المواضع الأربعة يتحدث السياق عن المكذبين لأنبيائهم ، ويأتي اسم (طائر) بمعنى العمل والجزاء عليه ، فعمل الإنسان هو طائره الذي يصعد للسماء ويحاسب الله تعالى عليه ، ويكون الجزاء في الدنيا والآخرة بالخير أو الشر، فالطائر هنا هو العمل الحسن أو السيئ الذي يكتب على الإنسان دون تفريط في تسجيله ، وفى تسمية العمل بالطائر تشبيه للعمل بالطائر الحيوان الذي يكون على الأرض ثم يصعد إلى السماء ، فعمل الإنسان يصعد من الأرض إلى السماء.

وبهذا يلاحظ وجود دلالة مشتركة بين استعمال صيغة (طائر) للحيوان المعروف في سورة الأنعام ، واستعمال هذه الصيغة للدلالة على العمل والجزاء ، حيث جاءت صيغة (طائر) المفرد الدالة على الحيوان المعروف مع الحديث عن المكذبين وتشبيه الناس بأمم الحيوانات في الحياة والموت والحشر بعد الموت ، وبيان أن كل أحوالهم مسجلة في كتاب (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) وهذه الدلالات نجدها مع صيغة (طائر) بمعنى العمل والجزاء عليه حيث يتحدث عن السياق عن المكذبين ويبيّن لهم أن عملهم مسجل عند الله تعالى وأن عليه يكون جزاؤهم في الدنيا وفى الآخرة .

فكما أن صيغة (طائر) المفرد الدالة على الحيوان جاءت تشبيهًا لحياة الناس وعملهم وموتهم وتسجيل أحوالهم في كتاب ، جاءت صيغة (طائر) التي لا تدل على الحيوان لبيان إلزام الناس بعملهم وتسجيله والحساب عليه فعملهم يشبه الطائر الذي يكون على الأرض ثم يصعد إلى السماء ، فهناك دلالة واحدة تلازم هذه الصيغة هي دلالة تسجيل عمل الناس الحسن منه والسيّئ ومجازاتهم عليه .

فالقرآن الكريم يصرّف الآيات ليأتي بلزوم دلالي واحد مع الاسم وإن اختلف المراد بالاسم كاختلاف معنى (طائر) في القرآن الكريم .

وهذا يؤكد دقة استعمال القرآن الكريم للزوم الدلالي فصيغة الجمع (طير) تلازمها دلالة الصفات المحمودة للطير ، أما صيغة المفرد (طائر) تلازمها دلالة

العمل الحسن والسيّئ وكتابته والمجازاة عليه ، وحديث السياق عن المكذبين الذين سيُلزَمون بعملهم ، وعملهم هذا هو طائرهم الذي يصعد للسماء وينزل عليهم بالجزاء، فالقرآن الكريم عدل عن صيغة الجمع (طير) الدالة على الحيوان في موضع ﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾ [الأنعام:٣٨]، لوجود لزوم دلالي آخر هو اللزوم الدلالي لصيغة (طائر) المفرد ، وكذلك عدل عن صيغة (طائر) إلى اسم الطائر (هدهد، سلوى ، غراب) إذ لم يوجد اللزوم الدلالي لصيغة (طائر) وإنما يدل اسم الطائر على أحداث القصة الوارد فيها .

وبذلك أيضًا لا يُتوهم أن استعمال القرآن الكريم لصيغة (طير) مع الصفات المحمودة للطير جاء من عدم وجود صورة أخرى للطير ، فهو استعمال ملزم للقرآن الكريم ، حيث يصور القرآن الكريم الطير بغير دلالة الصفات المحمودة لكن مع صيغة أخرى هي صيغة (طائر) وبذلك يكون اختيار الصيغة أسلوبًا متعمّدًا من القرآن الكريم لإيجاد اللزوم الدلالي الخاص بها .

فالقرآن الكريم الذي يفرّق بين صيغة المفرد (أذن) فيجعلها لسماع الخير وصيغة الجمع (آذان) فيجعلها لا تسمع الخير، يفرّق كذلك بين صيغة المفرد (طائر) فيجعلها مع دلالة الجزاء على العمل الحسن أو السيّئ، وصيغة الجمع (طير) فيجعلها مع وصف الطير بالصفات المحمودة.

- عجل : مع (بقرة)
- عاديات : مع (خيل)

غنــم

جاء اسم (غنم) ثلاث مرات في القرآن الكريم تلازمه في كل موضع دلالات بعينها ، وهو ما يظهر من دراسة تلك المواضع كما يلي:

الموضع الأول: المحرَّم من الغنم على اليهود:

وجاء هذا الموضع في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأنعام:١٤٦]، وفي هذا الموضع نجد هذه الدلالات :

١- التشريع لليهود: فالتحريم هنا يخص اليهود (بني إسرائيل) فالآيات بعدما تحدثت عن تشريع ما يباح أكله للمسلمين تحدثت عن تشريع الله تعالى لليهود فيما يباح، فقد جعل الله تعالى في كل شريعة ما يباح وما يحرم ليتعبد المؤمنون بطاعة أوامره، ويلاحظ أنه في الحديث عن تشريع المسلمين لما يحلّ لهم لم يأتِ اسم (غنم) وإنما جاء اسم (ضأن) واسم (معز) وذلك في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ﴾ [الأنعام:١٤٣]، وعدل عن هذين الاسمين إلى اسم (غنم) عند الحديث عن شريعة اليهود .

٢- التحوّل من صورة مقبولة إلى صورة مرفوضة : في تفسير هذه الآية التي جاء فيها اسم (غنم) نجد بما ثبت في الصحيحين دلالة تحوّل صورة مقبولة إلى صورة أخرى مرفوضة، فقد ذكر ابن كثير وغيره ما رواه البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : ((قاتَل الله اليهود؛ إن الله لما حرّم عليهم شحومها جملوه ثم باعوه وأكلوا ثمنه))[١] فالصورة الأولى لهذه الشحوم هي صورتها الطبيعية المحرم أكلها، وهي مقبولة بذلك غير مستنكرة ، والصورة الثانية هي صورة هذه الشحوم

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٣ / ٢١١ والحديث في صحيح البخاري ٣/٢٢٢ (٤٦٣٣) وصحيح مسلم ٦/٦ (١٥٨١)

بعد تحوّلها لمادة ذائبة للتحايل على تحريمها والقيام ببيعها وأكل ثمنها، وهي صورة مرفوضة مستنكرة، ففي تفسير الآية دلالة تحوّل الشيء إلى صورة مستنكرة.

٣- اجتماع عنصرين مختلفين في شيء واحد : ويلاحظ في هذا الموضع وجود دلالة اجتماع عنصرين مختلفين في شيء واحد ، دخل أحدهما على الآخر حيث إن هذا التشريع يفصل بين عنصرين في الغنم، الأول اللحم وبعض الشحم المباح أكله، والثاني الشحم المحرم أكله فيجتمع في الذبيحة الواحدة عنصران أحدهما مباح والآخر محرم ، والمحرم هو معظم الشحم، وهو العنصر الداخل على اللحم في تكوين الجسد، وهذان العنصران متداخلان يحتاج فصلهما إلى قيام الإنسان بذلك ، فليس الأمر كما هو عند المسلمين في ذبائحهم ، إذ يُهرق الدم المسفوح عند الذبح باندفاعه بنفسه خارج الذبيحة، ثم لا يحتاج المسلم إلى فصل عنصر عن الآخر في جسد الذبيحة، على غير اللحم المباح والشحم المحرم عند اليهود فهما متداخلان في الجسد الواحد حتى بعد الذبح.

٤- وجود حكمين مختلفين لنبيين يشتركان في سلامة القصد : فقد جاءت هذه الآية بالحديث عن شريعة اليهود فيما أحل وحُرم عليهم ، والحل والتحريم عندهم كان من شريعة إسرائيل (يعقوب) عليه السلام ، يقول تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [آل عمران: ٩٣]، ثم ما حرّم الله تعالى عليهم في التوراة المنزلة على موسى عليه السلام ، فالآية في سورة الأنعام تتحدث عن شريعة اليهود في الحل والتحريم ، وقبلها مباشرة تتحدث عن شريعة الإسلام في الشأن نفسه ، يقول تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ [الأنعام:١٤٥]، فالسياق يتحدث عن شريعتين (طريقتين) لنبيين تختلف فيه كل شريعة (طريقة) عن الأخرى فشريعة الإسلام المنزلة على محمد ﷺ تختلف عن

شريعة اليهودية المأخوذة من إسرائيل وموسى عليهما السلام ، لكن كل شريعة منهما تقوم على الأصل التعبدي في الحل والتحريم ، وعلى أصل الإخلاص وحسن القصد لله تعالى ، ففي السياق دلالة على وجود طريقتين أو حكمين مختلفين لنبيين يشتركان في سلامة القصد مع اختلاف التشريع .

ويلاحظ أن أسلوب الآيات يصف شريعة الإسلام باليسر ، فالأصل في تشريع الأكل الحل ، ولا حرج على المضطر والله غفور رحيم ، فقد جاء أسلوب القصر ، بنفي التحريم ثم استثناء المحرمات ، ويلاحظ أن أسلوب الآيات تصف شريعة اليهود بالتضييق عليهم ، فبدأ بالتحريم دون نفي واستثنى منه المباح ، وعلل هذا التحريم بأنه جزاء على بغيهم ، فالآيات تذكر شريعتين (طريقتين في الحكم) صحيحتين لأنهما من الشرائع السماوية ، مع وصف أحداهما بالتيسير والأخرى بالتشديد والتضييق .

الموضع الثاني : غنم موسى التي يهشّ عليها بعصاه :

وجاء هذا الموضع في قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [طه:١٧-٢٢]، ونجد في هذا الموضع الدلالات الملازمة للاسم وهي كما يلي :

١- شريعة بني إسرائيل : حيث إن هذا الموضع الذي ورد فيه اسم (غنم) يتحدث عن الغنم بصلته بنبي الله موسى عليه السلام الذي أرسل ليخلص بني إسرائيل من ظلم فرعون كما جاء في السياق: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ [طه:٤٧]، وموسى عليه السلام هو النبي الذي أنزلت عليه التوراة المتضمنة شريعة اليهود فيما هو مباح أو محرم عليهم ، فالحديث عن الغنم بوصفه غنم موسى عليه السلام يشير إلى ما أنزل على موسى من أحكام شريعة اليهود ، بل

ويؤخذ من كل ما يفعله النبي تشريع الإباحة إلا ما نُهي عنه ، فالحكم الشرعي يؤخذ من كل قول أو عمل ينسب للنبي ، ففي مثل هذا الوصف (أهشّ بها على غنمي) يستدل به على إباحة أكل الغنم ورعية وفضل العمل وكسب اليد ، فهو من أدلة التشريع .

٢- التحوّل من صورة مقبولة إلى صورة مرفوضة : وفى هذا الموضع نجد دلالة التحوّل من صورة مقبولة (معتادة) إلى صورة مرفوضة (مستنكرة) وذلك أن العصا التي كان يهشّ بها موسى على غنمه تحولت إلى حية تسعى ، فبعدما كانت مقبولة لدى موسى عليه السلام تلامس غنمه في أنس وسلام ، تحوّلت صورتها إلى حية تهتزّ كأنها جان ، خاف منها موسى عليه السلام ، فهي صورة مستنكرة لموسى وللغنم أيضًا الذي يفر من أمثال هذه الحية .

٣- اجتماع عنصرين مختلفين في شيء واحد : ونجد في هذا الموضع أيضًا دلالة اجتماع عنصرين مختلفين في شيء واحد، وتلك الدلالة جاءت في الآيات في شيئين ، الأول : في العصا التي جمعت بين عنصرين مختلفين أحدهما: صفتها اليابسة وطبيعتها الجامدة ووظيفتها المعتادة التي ذكرها موسى ، والعنصر الآخر صفتها اللينة كحية تسعى ، وطبيعتها الحيوانية ، ووظيفتها في الإعجاز والإبهار ، فاجتمع في العصا التي تنقلب حية وتعود سيرتها الأولى عنصران مختلفان دخل أحدهما - وهو عنصر الحياة - على الآخر - وهو عنصر الجماد - والشيء الثاني الذي اجتمع فيه عنصران مختلفان هو يد موسى عليه السلام ، فيد موسى بوصفها يد إنسان دخل عليها عنصر آخر هو البياض من غير سوء ، وهو نور رباني جعله الله تعالى آية للناس فاجتمع في اليد عنصران مختلفان دخل أحدهما على الآخر ، حيث دخلت المعجزة (القدرة) النورانية على طبيعة اليد البشرية .

٤- وجود حكمين مختلفين لنبيين يشتركان في سلامة القصد: والسياق هنا يشير إلى وجود طريقتين تُنسب كل طريقة منهما لنبي ، حيث سأل موسى عليه السلام الله تعالى أن يرسل معه أخاه هارون عليه السلام ، وفيما يبدو والله أعلم أن موسى عليه السلام كان يدرك أن سجيّته تختلف عن سجيّة أخيه، فسجيّة موسى تميل إلى القوة والعنفوان والحدّة ، وسجيّة هارون تميل إلى اللين واللطف ، وتحتاج الدعوة في سبيل الله تعالى إلى كلتا السجيّتين ، وهذا ما صرّح به السياق في سورة طه حيث أمر الله تعالى موسى وهارون باتباع سجيّة هارون عليه السلام وهي سجيّة اللين ، فقال الله تعالى لهما : ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا

لَّيِّنًا﴾ [طه:٤٣-٤٤]، ويأمر الله تعالى موسى وهارون بإلقاء السلام أمام فرعون وعدم البدء بدعوته إلى التوحيد ، بل البدء بطلب الرحمة والعدل من فرعون بالعفو عن بني إسرائيل ، يقول تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾ [طه:٤٧]، فهو أسلوب لين فيه تلطف وتدرّج في الدعوة .

وليس هذا هو أسلوب الدعوة الوحيد ، فهناك أسلوب التغليظ والتشديد المناسب لسجية موسى عليه السلام، ولذلك اختلف أسلوب الأمر لموسى وحده للقيام بالدعوة، يقول تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النازعات: ١٧-١٩]، فالدعوة هنا تتبع أسلوب موسى عليه السلام في حدّة القول، وأسلوب الإنكار، والبدء بطلب اتباع موسى والاهتداء إلى الله تعالى ، وهذا الاختلاف في أسلوب الدعوة اختلاف يكمّل كل واحدٍ منهما الآخر، وهو تنوّع في السجية جعله الله تعالى في خلقه .

وسورة طه التي جاء فيها اسم (غنم) تقصّ ما يوضح اختلاف طريقة موسى عن طريقة أخيه ، إذ تتحدث عن غضب موسى حينما علم بعبادة بني إسرائيل العِجلَ، يقول تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ﴾ [طه: ٨٦]، وسلك موسى مع أخيه هارون مسلك العنفوان ، يقول تعالى: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾ [طه :٩٢ – ٩٤]، وذكرت سورة الأعراف إلقاء موسى الألواح من شدة غضبه ، وتحدثت سورة طه التي جاء فيها اسم (غنم) عن سجية هارون إذ ظهرت سماتها في هذه الحادثة

(عبادة العجل) فتُذكر سورة طه قول هارون اللين لبني إسرائيل ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ ﴾ [طه: ٩٠]، وهذا الأسلوب يناسب بدء الدعوة لقوم لم يعرفوا الإيمان من قبل، أما بنو إسرائيل فقد عرفوا الإيمان مع موسى ونجاهم الله تعالى من فرعون فكانت عبادة العجل ردّة منهم تحتاج إلى أسلوب أشد في التوبيخ ، وقد علل هارون بنفسه اتباع هذا الأسلوب اللين مع بني إسرائيل فقال: ﴿ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴾ [طه: ٩٤]، فهو أسلوب يتعامل مع هذه الفتنة العظيمة بخشية وحذر.

فالسورة توضّح أن هناك طريقتين في الحكم على الأمور والدعوة، كلاهما صحيح إذا استعملت كل طريقة في المقام المناسب لها، فالطريقتان لنبيين كريمين ويصدران عن حُسن قصد لله تعالى، فهما طريقتان صحيحتان تتصف إحداهم باليسر واللين، والأخرى بالشدة والقوة.

الموضع الثالث : حكم داود وحكم سليمان عليه السلام في الغنم :

حيث جاء اسم (غنم) في قوله تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴾ [الأنبياء: ٧٨- ٧٩]، ونجد في هذا الموضع الدلالات الملازمة لاسم (غنم) وهي كما يلي :

١- التشريع لبني إسرائيل : فالآية تتحدث عن حكم داوود وحكم سليمان عليهما السلام فيما أحدث هذا الغنم من إفساد للحرث (شجرة الكَرْم) يقول ابن كثير عن ابن مسعود في تفسيره للآية: ((كَرْمٌ قد أنبتت عناقيده فأفسدته ، فقضى داود بالغنم لصاحب الكَرْم ، فقال سليمان: غير هذا يا نبي الله ، قال داود: وما ذاك ؟ قال سليمان: تدفع الكَرْم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان ، وتدفع الغنم

إلى صاحب الكرم فيصيب منها [أي من لبنها ونفعها كما هو في روايات أخرى] حتى إذا كان الكرم كما كان ، دفعت الكرم إلى صاحبه ، ودفعت الغنم إلى صاحبها))[1] وهو تشريع لبني إسرائيل يقضي على من تسبب في إفساد شيء بإصلاح ما أفسده، والرجوع إلى المتضرِّر بعوض ما تلف منه ، فالآية تتحدث عن شريعة بني إسرائيل ، فداوود وسليمان من أنبيائهم ، وهما من نسل يعقوب (إسرائيل) عليه السلام .

٢- التحوّل من صورة مقبولة إلى صورة مرفوضة: ونجد دلالة التحوّل من صورة مقبولة إلى صورة مستنكرة ، وذلك من تحوّل صورة عناقيد العنب قبل رعي الغنم فيها إلى صورة نفش (دهس) الغنم لهذا الحرث وإفساده لثمره، وهي صورة مستنكرة لمن رآها ولمالك الحرث.

٣- اجتماع عنصرين مختلفين في شيء واحد: وفي الآية الكريمة نجد دلالة دخول عنصرين مختلفين في شيء واحد ، وذلك بدخول طعام غير مباح لأن صاحبه لم يأذن بأخذه ، على طعام مباح وهو الذي يترك للغنم من نبات الأرض وما سمح به مالكه ، فهذه الغنم جمعت في طعامها بين ما هو مسموح لها أكله وما لم يسمح لها بأكله ، وهما عنصران مختلفان اجتمعا في طعام الغنم وجسده .

٤- وجود حكمين مختلفين لنبيين يشتركان في سلامة القصد: والآيات تصرّح بوجود حكمين أحدهما لداود عليه السلام وهو إعطاء الغنم لمالك الحرث ، والثاني لسليمان عليه السلام وهو إصلاح مالك الغنم للحرث ، وانتفاع مالك الحرث بالغنم لحين إصلاح حرثه ، وكلا الحكمين صحيح لقوله تعالى : ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، ولذلك نقل ابن كثير عن الحسن البصري قوله: ((فأثنى الله على سليمان ولم يذم داود ، ثم قال -يعني الحسن- : إن الله اتخذ على الحكام ثلاثاً: لا يشتروا به ثمنا قليلاً ، ولا يتبعوا فيه الهوى ، ولا يخشوا فيه أحدًا))[1] فكلا الحكمين (الطريقتين والشريعتين) صواب مع اختلافهما ، فحكم داود عليه السلام أشد على صاحب الغنم ، ففيه ردع عن إفساد مال الآخرين، أما حكم

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٥ / ٢٠٧

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٥ / ٢٠٧.

سليمان فيه إصلاح الإفساد ودفع الضرر ثم يرد الغنم لصاحبه، فهو أيسر من جهة إبقاء المالك على ما يملك، دون الإضرار بمن فسد ماله بعدم تعويضه .

فالحكمان أحدهما يتصِّف بالشدَّة، والآخر يتصف باليسر، وكلاهما صحيح فيما يراه الحاكم صالحًا لاختلاف الأحوال، وكلاهما من نبيين يحسنان القصد لله تعالى.

وهكذا نجد أن اسم (غنم) في المواضع الثلاثة لازمته دلالة التشريع لبني إسرائيل (بتشريع ما يحرم أكله من الغنم ، وتشريع موسى الذي أنزلت عليه التوراة، وتشريع داود وسليمان) ودلالة التحوّل من صورة مقبولة معتادة إلى صورة مرفوضة مستنكرة (بتحوّل الشحم المتروك أكله إلى مادة ذائبة تباع ويؤكل ثمنها ، وتحوّل العصا التي يهشّ بها موسى على الغنم إلى حية يخاف منها موسى والغنم ، وتحوّل الحرث بثماره النضرة إلى نفش كالقطن المنفوش) كذلك لازمت اسم (غنم) دلالة وجود عنصرين مختلفين يجتمعان في شيء واحد (باجتماع المباح من اللحم والشحم مع المحرم من الشحم في الذبيحة الواحدة ، واجتماع صفة الجماد اليابس مع صفة الحياة والحركة في العصا ، أو اجتماع النورانية مع طبيعة اليد البشرية ، واجتماع الطعام المباح رعيه للغنم مع الطعام غير المسموح برعيه) ولازمته دلالة وجود حكمين أي طريقتين أو شريعتين لنبيين ، يوصف أحد الحكمين باليسر، والآخر بالشدة (التشديد والتضييق في شريعة اليهود والتيسير في شريعة الإسلام ، الشدّة في طريقة موسى واللين في طريقة هارون ، الشدّة في حكم داوود والتيسير في حكم سليمان) فهناك طريقتان مختلفتان في الحكم مع أن كل حكم منهما صواب وينسب لنبي من أنبياء الله تعالى .

فاسم (غنم) في القرآن الكريم جاء مع اللزوم الدلالي الذي يميز استعمال الاسم في القرآن الكريم عن استعماله في غير القرآن الكريم ، ويميز أيضًا استعمال هذا الاسم عن استعمال غيره من الأسماء في القرآن الكريم ، فالضأن والماعز جاءت مع التشريع للمسلمين ، وجاء ذكر ما ذبحه إبراهيم عليه السلام بوصفه (ذبح عظيم) دون تسميته بالغنم أو نسبته إلى الغنم كأن يكون الكلام : وفديناه بذبح من الغنم عظيم ، فعدم وجود الدلالات الملازمة لاسم (غنم) يقتضى عدم وجود الاسم.

قـــردة

في بادئ الأمر كنت أظن عدم دخول اسم (قردة) في البحث عن اللزوم الدلالي لأن المواضع الثلاثة التي جاء فيها الاسم تتحدث عن مسخ اليهود قردة ، وبذلك يكون استعمال الاسم في مضمون واحد في كل موضع ، وليس مع دلالة واحدة تلازمه في مضامين متغايرة ، لكن وجدت أن استعمال القرآن الكريم لاسم (قردة) جاء مع لزوم دلالي آخر غير دلالة مسخ اليهود قردة ، فهناك دلالة أخرى غير ظاهرة تأتي في سياق كل موضع ، وتأتي في مضامين متغايرة ، والجمع بين المواضع عن طريق هذه الدلالة غير الظاهرة يوجد تشبيهاً له غرضه البلاغي ، وهي من فوائد اللزوم الدلالي، ولذا يمكن القول أن اسم (قردة) جاء مع تغاير في المضمون الذي توجد فيه الدلالة الملازمة للاسم ، ويظهر ذلك من خلال دراسة مواضع الاسم الثلاثة والتي جاءت في قوله تعالى:

١- ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ [البقرة:٦٥].

٢- ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة : ٦٠].

٣- ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الأعراف:١٦٦].

وهذه الآيات تشترك في دلالة مسخ اليهود قردة ، وهناك دلالة أخرى جاءت في كل سياق بصورة مختلفة ، مفتاح هذه الدلالة هو قوله تعالى في الموضع الأول في سورة البقرة: (فِي السَّبْتِ) حيث دل ذلك على أن هذه العقوبة (مسخ اليهود قردة) لم تكن عامة لجميع اليهود وإنما كانت لطائفة منهم اعْتَدُوا في يوم السبت ، وهو ما يستدعي التساؤل عن نوع اعتداء اليهود في السبت ، ونجد أن الإجابة واضحة في الموضع الثالث في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأعراف: ١٦٣]، ومعنى ذلك أن

كلاً من موضع سورة البقرة وموضع سورة الأعراف يدلان على أن مسخ اليهود قردة كان لاعتداء طائفة منهم يوم السبت بصيدهم من البحر ، والصيد من البحر فعل مباح أصلاً وجاء تحريمه في وقت محدد هو يوم السبت ، فحصل التعدي (الذنب) بسبب فعل المباح في وقت تحريم فعله ، ولعل وصف (حاضرة البحرة) في سورة الأعراف يعلّل هذا التحريم إذ كان البحر متاحًا متيسرًا لهم لقربهم منه ، فأراد الله تعالى امتناعهم عن الصيد في وقت محدّد لمعرفة نعمة الله تعالى عليهم وتيسيره لها في بقية الأيام ، وأيًا ما كانت علّة التحريم فإن صيد البحر مباح عند أهل هذه القرية إلا يوم السبت ، فالذنب جاء بفعل المباح في غير وقت إباحته ، وليس بفعل محرم أصلاً كأكل السحت الذي كان جزاؤه مسخهم خنازير.

فالموضعان في سورة البقرة وسورة الأعراف يظهران أن مسخ اليهود قردة كان لصيد السبت أي لصيدهم المباح أصلاً في وقت تحريم الصيد، أما الموضع الثالث وهو في سورة المائدة الذي جاء فيه مسخ اليهود قردة ، فإنه لم يذكر أن هذه العقوبة جزاءٌ لصيدهم يوم السبت، وإنما ذكر مثيل هذه الجريمة وجعله محرمًا على المسلمين ، حيث جاء في سورة المائدة في أكثر من موضع تحريم الصيد على المسلمين وقت الإحرام ، وذلك عندما يكون المسلمون حاضري فريضة الحج أو العمرة ، وهذا التشريع هو أول آية جاءت في سورة المائدة ، فإذا كان اسم المائدة يدل على الطعام وأخِذ من طلب حواري بني إسرائيل من عيسى عليه السلام مائدةً من السماء ، فإن السورة تشرّع ما يكون مباحًا من طعامٍ للمسلمين على مائدتهم ، ومنه ما هو مباح إلا في وقت محدّد يكون فيه المسلم مُحْرِمًا ، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾ [المائدة: ١]، فهو حكم تعبدي إذ يحكم الله تعالى بما يريد، فالآية تختتم بردّ الأحكام التشريعية لأصل العبودية، والنزول لحكم الله تعالى ، سواء فهمت علّة التشريع أو لم تفهم ، وليس هذا هو الموضع الوحيد في صورة المائدة الذي يشرّع للمسلمين التحريم المؤقت للصيد المباح في الأصل ، إذ جاء هذا التحريم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۚ﴾ [المائدة: ٩٥]، وبعد تفصيل هذا التشريع يأتي القرآن الكريم عقب هذه الآية مباشرة بما يؤكد وجود صلة دلالية بين هذا التحريم وتحريم صيد البحر

يوم السبت عند اليهود ، فقد أعقب هذه الآية قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [المائدة :٩٦]، فهذه الآية فصلٌ حقٌّ ودلالة ظاهرة على أن هناك شبهًا بين هذا التشريع عند المسلمين والتشريع بتحريم صيد البحر يوم السبت عن اليهود.

ويوجد فرق في التشريعين أراد الله تعالى به مخالفة اليهود ، فكما أن الله تعالى حرَّم على اليهود صيد البحر يوم السبت ، حرَّم سبحانه على المسلمين صيد البر وقت إحرامهم لبيته الحرام ، فكلاهما تحريم في وقت محدد لطعام مباح في غير وقت التحريم ، أما الفرق (المخالفة) بين الشريعتين فيأتي من تحريم صيد البحر على اليهود وإباحته للمسلمين في وقت تحريم صيد البر عند المسلمين، ونصّت الآيات على ذلك على الرغم من أن المسكوت عنه مباح على الأصل، أي أن الآيات لو لم تنصّ على إباحة صيد البحر للمسلمين وقت إحرامهم لفهم هذا الحكم من عدم ذكر صيد البحر من المحرمات على المسلم المُحْرِم ، لكن الآيات نصت على إباحة صيد البحر للمُحْرِم إظهارًا للمخالفة مع شريعة اليهود مع اتفاق الشريعتين في جوهر الحُكم، فالشرائع السماوية تتفق في أصول الأحكام التعبدية والحكمة منها ، ومن ذلك شكر النعمة بتقييد الميسر والتحريم المؤقت .

وبهذا يُدرك أن سورة المائدة ذكرت عقوبة مسخ اليهود قردة دون حديثها عن جريمة اليهود الذين استحقوا هذه العقوبة، وإنما جاءت بمثيل هذه الجريمة وهذا الاعتداء في شريعة المسلمين ، فتحدثت عن تحريم صيد المسلم من البر وقت إحرامه، والوعيد لمن فعل ذلك، وهذا الوعيد هو ما أكدت عليه الآيات يقول تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة : ٩٤]، ويقول سبحانه: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المائدة:٩٦]، فتحريم صيد البر على المسلم المحرم جاء في سورة المائدة مع الوعيد لمن اعتدى بفعل ذلك ، ومع تحقق الوعيد لمن فعل ذلك وهم أهل القرية الذين اعتدوا يوم السبت بالصيد ، فمَسْخُ اليهود قردة جاء في سورة المائدة مع دلالة تحريم الصيد وقت التحريم وذلك بتحريم صيد المُحرم ، كما جاء مسخ اليهود قردة في سورتي البقرة والأعراف مع دلالة تحريم

الصيد وقت التحريم ،وذلك بتحريم صيد يوم السبت عن اليهود ، فجميع المواضع التي جاء فيها اسم (قردة) جاءت فيها دلالة تحريم الصيد في وقت محدد .

ولعله من الملاحظ استعمال القرآن الكريم للفظ الاعتداء لليهود والمسلمين، فوصف اليهود بقوله تعالى: ﴿ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ﴾ [البقرة: ٦٥]، وحذر المسلمين بقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ [المائدة: ٩٤]؛ ليشير القرآن الكريم إلى أن الفعل واحد وإن تغايرت صورته.

فالقرآن الكريم يعمد إلى الربط بين تحريم الصيد على المُحْرم ، وتحريم صيد السبت على أهل القرية من اليهود، وذلك بعدة روابط هي:

١- الربط بين عقوبة مسخ اليهود قردة وتحريم الصيد على المحرم : اقتران الحديث عن تحريم الصيد في وقت محدد عند المسلمين وعند اليهود بذكر عقوبة مسخ اليهود قردة ، حيث جاءت هذه العقوبة مع تحريم الصيد يوم السبت في سورتي البقرة والأعراف، وجاءت مع تحريم صيد المُحْرم في سورة المائدة .

٢- المقابلة (المخالفة) بين صيد البرّ وصيد البحر: اقتران الحديث عن تحريم صيد البرّ على المُحْرم عند المسلمين في سورة المائدة بالنص على إباحة صيد البحر للمُحْرم ، إشارة إلى شريعة اليهود التي فيها تحريم صيد البحر يوم السبت على أهل القرية حاضرة البحر.

٣- الاشتراك في لفظ التعدي : اقتران تحريم الصيد عند المسلمين وعند اليهود بلفظ التعدّي .

٤- وجود زمن محدّد للتحريم (السبت/ أشهر الحج) : فقد جمعت سورة البقرة بين عقوبة المسخ لاعتداء اليهود يوم السبت والحديث في موضع آخر عن المُحَرّم فعله في أشهر الحج والمُحَرّم فعله على الحاج أو المعتمر من الحلق أو الرفث أو الفسوق والجدال ، وفى ذلك إشارة إلى تحريم الصيد على المُحْرم وإن لم تصرح به سورة البقرة ، فسورة البقرة جمعت بين اعتداء اليهود بصيدهم المُحَرّم يوم السبت والمُحَرّم فعله على المسلمين وقت الإحرام، وهو يتضمّن تحريم الصيد ، وقد صرّحت سورة المائدة بالجمع بين تحريم الصيد على المُحْرم وعقوبة مسخ اليهود قردة .

٥- الاشتراك في علّة واحدة لتحريم صيد السبت على أهل القرية وتحريم التمتّع والقرآن على أهل مكة: وهو من الروابط الدلالية البديعة في القرآن الكريم، حيث يربط بين مكان تحريم الصيد عند اليهود ومكان تحريم الصيد عند المسلمين بوصف واحد هو (حاضرة البحر) في سورة الأعراف و(حاضري المسجد الحرام) في سورة البقرة ، ولم يرد هذا الوصف (حاضر) مضافاً في القرآن الكريم إلا في هذين التركيبين .

ففي سورة الأعراف التي جاء فيها التفصيل في اعتداء أهل القرية بالصيد يوم السبت جاء التركيب الأول (حاضرة البحر) في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ [الأعراف: ١٦٣]، فجاء اسم الفاعل (حاضر) مضافاً للمكان الذي بسبب قرب القرية منه كان التحريم ، وهو أيضاً مكان التحريم ، ولم يأتِ اسم الفاعل (حاضر) مضافاً في القرآن الكريم إلا مرة ثانية وذلك في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وهذه الآية تشريع لما هو محرم فعله على المحْرم في الحج أو العمرة ، وتشريع بجواز الجمع بين الحج والعمرة (التمتع أو القِران) لغير أهل مكة وذلك تيسيرًا للقادمين من السفر، فمن يأتي للحج من مكان بعيد قد يشقّ عليه الإتيان ثانية لأداء العمرة، فيسر الله تعالى عليه بالجمع بين الحج والعمرة ، أما من هو من أهل مكة فليست له هذه الرخصة لأن أداء العمرة في غير وقت الحج سهّل ميسر بالنسبة له لقرب أهل مكة من المكان ، فهم كما وصفهم القرآن الكريم (حاضري المسجد الحرام) وهو وصف يدل على سبب منعهم من الجمع بين الحج والعمرة ، فإذا عدنا إلى تركيب (حاضرة البحر) نجد أنه يصف أهل هذه القرية بقربهم من البحر قربًا يسهّل عليهم الصيد في أي وقت دون مشقة الانتقال ، ولذلك حرّم الله تعالى عليهم صيد البحر يوم السبت ليشعروا بهذه النعمة .

وبذلك نجد أن كلاً من وصف (حاضرة البحر) ووصف (حاضري المسجد الحرام) تعليلٌ لتحريم مؤقت لما هو مباح ، بتحريم الصيد يوم السبت وتحريم العمرة وقت الحج (لاحظ المشابهة بين الصيد والعمرة فكلاهما مغنم، وبين يوم السبت وأيام الحج فكلاهما وقت عيد وقداسة دينية) وسبب هذا التحريم قرب المكان بالنسبة لمن وقع عليهم التحريم ، فقد جلب هذا القرب يسرًا يقابله التضييق في وقت محدد .

وكذلك نجد أن وصف (حاضر) جاء مضافا لمكان هذا التحريم المؤقت، وهو مكان تحريم الصيد عند اليهود ، ومكان تحريم الصيد عند المسلمين ، فالعلاقة بين الوصفين (حاضرة البحر) (حاضري المسجد الحرام) تؤكد على وجود ترابط بين تحريم الصيد يوم السب عند اليهود (الذي تحدثت عنه سورتي البقرة والأعراف مع مسخ اليهود قردة) وتحريم الصيد وقت الإحرام عند المسلمين (الذي تحدثت عنه سورة المائدة مع مسخ اليهود قردة) فاللزوم الدلالي يأتي من وجود دلالة مشتركة بين المضامين المتغايرة ، حيث لم يرد تحريم صيد السبت في سورة المائدة ، وتحريم الصيد وقت الإحرام لم يرد في سورة الأعراف ، ولم تصرِّح به سورة البقرة وإن تحدثت عن المحرمات الأخرى وقت الإحرام *.

٦- الجمع بين مكاني التحريم في سياق واحد : وكما أن وصف (حاضر) جمع بين مكاني التحريم فجاء تركيب (حاضري المسجد الحرام) في سورة البقرة وتركيب (حاضرة البحر) في سورة الأعراف ، جاء الجمع بين مكاني التحريم في سورة المائدة في سياق واحد ، حيث ذكرت الكعبة البيت الحرام وهي مكان تحريم الصيد وقت الإحرام مع البحر وهو مكان تحريم صيد السبت، وذلك بأن نصّت الآيات على جواز صيد البحر للمحرم يقول تعالى: ﴿ هَدْيًا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ ﴾ [المائدة: ٩٥]، ويقول سبحانه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ﴾ [المائدة: ٩٦]، ويقول تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ﴾ [المائدة: ٩٧]، فالسياق جمع بين مكاني التحريم .

فاسم (قردة) الذي جاء في وصف مسخ اليهود جاء مع لزوم دلالي ، هو تحريم الصيد في وقت محدد ، وفائدة هذا اللزوم الدلالي أنه يجمع بين صورتي التحريم ، وهما تحريم صيد البحر يوم السبت وتحريم صيد البر وقت الإحرام ، عن طريق وصف عقوبة من خالف التحريم الأول وهي المسخ قردة، ليكون هذا الجمع بمنزلة التشبيه بين الحُكمين غرضه الوعيد لمن خالف هذا التشريع ، ففائدة اللزوم الدلالي هنا الوعيد ، كما يفيد اللزوم الدلالي وجود أصول واحدة لأحكام الشرائع السماوية مع اختلاف فروعها (أشكال تطبيق الأحكام التعبدية) لتتميز كل شريعة عن الأخرى .

---

* ملحق بالدراسة جدول توضيحي لملاحظة الترابط الدلالي بين السور الثلاثة وطريقة تكوين اللزوم الدلالي القائم على اختلاف المضامين.

كـــلب

جاء اسم (كلب) خمس مرات في القرآن الكريم وذلك في موضعين، الأول في سورة الأعراف والثاني في سورة الكهف، ويلاحظ من دراستهما دلالات مشتركة (ملازمة) للاسم كما يلي:

أولاً : قصة مَن انسلخ مِن الآيات في موضع سورة الأعراف :

وجاء اسم (كلب) في هذا الموضع مرّة واحدة ، يقول تعالى : ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف : ١٧٥ - ١٧٦]، ونجد في هذا الموضع هذه الدلالات:

١- إقامة الحجة على اليهود المعاصرين للرسول ﷺبنزول القرآن بأخبار السابقين التي لدى اليهود دراية بها :

إذ جاء في تفسير هذا الموضع أن المراد بالرجل الذي انسلخ من الآيات رجل من بني إسرائيل ، يقول الزمخشري: (((واتلُ عليهم) على اليهود (نبأ الذي آتيناه آياتنا) هو عالم من علماء بني إسرائيل))(١) فالخطاب هنا للرسول محمد ﷺ ليخبر اليهود عن قصة رجل من أسلافهم من بني إسرائيل ، وذلك ليدرك اليهود أن الرسول ﷺ يعلم هذه الأخبار عن طريق الوحي ، يقول الزمخشري :((فيحذرون مثل عاقبته إذا ساروا نحو سيرته ، وزاغوا شبه زيغه، ويعلمون أنك علمته من جهة الوحي فيزدادوا إيقانًا بك ، وتزداد الحجة لزوماً لهم))(٢) فالآيات تأمر بإخبار اليهود ، وتتحدث القصة عن رجل منهم لهم علم به ، وفي إخبار اليهود تأكيد على صدق نبوة الرسول ﷺ .

٢- ثبوت الكلب على حالة واحدة مع تغير حركة من معه من البشر:

---

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٢ / ٢٢٠

(٢) نفسه ، ٢ / ٢٢١

ويلاحظ في وصف الآيات لصورة الكلب أنها تصفه بثبوت حالة واحدة، وهي حالة اللهث ، ويعرِّف الراغب معنى اللهث بقوله: ((هو أن يُدْلِع لسانه من العطش))[1] وبمثله قال أبو السعود: ((إدلاع اللسان بالتنفس الشديد))[2] فالكلب يلزم حالة واحدة ، يقول الزمخشري: ((هي مَثَلٌ في الخسة والضعة كصفة الكلب في أخس أحواله وأذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء محمَّل عليه أي شد عليه وهيج فطرد ، أو ترك غير متعرَّض له بالحمل عليه))[3] وإذا كانت صورة الكلب تدل على ثبوته على حالة واحدة، فإن صورة الإنسان الذي يكون معه تدل على تغير فعله ، فتارة يحمل على الكلب وتارة يتركه ، فحالة الكلب ثابتة أمام تغير حالة الإنسان الموجود معه .

وهذا هو الغرض من التشبيه هنا، حيث لم يستجب هذا الرجل للآيات التي جاءته كما أن الكلب لم يستجب لمن معه فظلّ على حالة واحدة من اللهث.

٣- صورة بسط الكلب لعضو من أعضائه :

سبق وأن جاء في تعريف لهث الكلب بأنه إدلاع اللسان ، أي إخراج اللسان وبسطه خارج فم الكلب ، فالكلب يبسط عضواً من أعضائه .

٤- دلالة افتراش الأرض:

وصورة الكلب تشبيه لمن تصفه الآيات بأنه أخلد إلى الأرض ، يقول الراغب: ((أي ركن إليها ظاناً أنه يخلد فيها))[4] فوصف الرجل بأنه أخلد إلى الأرض تَحْمل دلالة معنوية وهي ظنه الخلود في الأرض ، وتحمل دلالة حسية وهي افتراش الأرض كالكلب بعدما انصرف (تولّى) هذا الرجل عن التوجه إلى السماء ، فتشبيه الرجل هنا بالكلب جاء مع وصف المشبه (الرجل) بصفة موجودة في الكلب وهي افتراشه الأرض، فقوي التشبيه بين حال هذا الرجل والكلب (والذي غرضه عدم الاستجابة والخسة) بوصف المشبه بصفة أخرى للمشبه به .

٥- عدم استجابة الكلب للمؤثرات :

الغرض من التشبيه هنا عدم استجابة الرجل للآيات، كالكلب الموصوف بعدم استجابته لمن يحمل عليه، فهي صفة رئيسية هنا في التشبيه.

ثانياً : قصة أصحاب الكهف في موضع سورة الكهف :

وجاء اسم (كلب) في الموضع الثاني أربع مرات وذلك في قوله تعالى:

﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ

(١) الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ٣٤٥
(٢) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٣ / ٥٣
(٣) الزمخشري ، الكشاف ، ٢ / ٢٢٠
(٤) الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ١١٨

ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الكهف: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْۚ ﴾ [الكهف:٢٢]*

وفي هذا الموضع جاءت هذه الدلالات :

١- إقامة الحجة على المشركين واليهود المعاصرين للرسول ﷺ بنزول القرآن بأخبار السابقين التي لدى اليهود دراية بها :

فالحديث هنا عن هذا الكلب يأتي في قصة أصحاب الكهف ، ولهذه القصة في سورة الكهف سبب نزول يذكره ابن كثير بقوله : ((عن ابن عباس قال : بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة ابن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة فقالوا لهم : سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألوا أحبار اليهود عن رسول الله ﷺ ، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله ، وقالا: إنكم أهل توراة وجئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا قال : فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث نأمركم بهنّ ، فإن أخبركم بهنّ فهو نبي مرسل ، وإلا فرجل متقوّل تروا فيه رأيكم ، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم ؟ فإنهم قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هو؟))(١) فقصة أصحاب الكهف نزلت تصديقًا للرسول ﷺ بإخباره قصصًا يعلمها اليهود ويسألونه عنها للتأكد من صدق الوحي إليه .

٢- ثبوت الكلب على حالة واحدة مع تغير حركة من معه من البشر :

فالآيات في سورة الكهف تصف صورة الكلب بأنه باسط ذراعيه بالوصيد ، وهو وصف لحالة ثابتة استمرت سنين طوالاً ، ويؤكد ثبوت هذه الحالة مجيء الوصف باسم الفاعل (باسط) وليس بالفعل المضارع (يبسط) الذي يفيد الحركة والتجدّد الفعلي ، على غير الاسم الذي يفيد الثبوت والاستمرار ، يقول عبد القاهر

---

* رقم الآية التي تصف أصحاب الكلب مع كلبهم هو رقم (١٨) وهو رقم السورة أيضًا ، وهذه السورة تحمل اسم (الكهف) فقصة أصحاب الكهف رئيسية في السورة وتميزها عن غيرها ، ورقم (١٨) هو أيضًا ناتج جمع عدد أصحاب الكهف المذكور في الآراء التي ذكرتها السورة ، فقيل أنهم مع كلبهم أربعة وقيل ستة وقيل ثمانية وحاصل هذه الأعداد رقم (١٨) وهو رقم السورة ورقم الآية التي تصف صورة أصحاب الكهف مع كلبهم .

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ٥ /٨٢

الجرجاني: ((موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدُّدَه شيئاً بعد شيء ، وأما الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدُّدَ المعنى المثبت به شيئًا بعد شيء))[1] فوصف (باسط ذراعيه) يفيد ثبوت الكلب على حالة واحدة وأكدّت الآيات ذلك بأن ذكرت تقلّب أصحاب الكهف ذات اليمين وذات الشمال من غير أن تذكر تغير حركة الكلب ، فحال الكلب ثابتة ، أمام تغير حركة من معه من البشر .

٣- صورة بسط الكلب لعضو من أعضائه :

فصورة الكلب كما تصف الآيات تفيد بسطه لذراعيه أي مدّهما خارج جسده.

٤- دلالة افتراش الأرض :

وقد كان من الممكن الاكتفاء بوصف صورة الكلب بأنه باسط ذراعيه غير أن الآيات وصفت صورة الكلب بأنه باسط ذراعيه بالوصيد ، أي على الأرض ، يقول ابن منظور: ((الوصيد: فناء الدار))[2] فالآية تنصّ على وصفه وهو مسجًّى على الأرض .

٥- عدم استجابة الكلب للمؤثرات :

فالآيات تصف أصحاب الكهف ومعهم الكلب بعدم الاستجابة للمؤثرات، كالشمس والبرد والزمن والجوع ، فهم رقود وكلبهم في عزلة عن العالم دون استجابة ، كتغير الأيام أو حوادث الزمان ، ليظلّ في هذه العزلة زمنًا طويلاً .

ومن ذلك نجد أن اسم (كلب) في كلا الموضعين لازمته دلالة إقامة الحجة على اليهود بإنزال آيات تخبرهم قصص السابقين التي لديهم دراية بها، ولازمته دلالة ثبوت الكلب على حالة واحدة مع تغير حركة من معه من البشر ، ولازمته صورة بسط الكلب لعضو من أعضائه ، ودلالة افتراش الأرض (التي جاءت للرجل الذي يشبه الكلب في سورة الأعراف ، وجاءت للكلب في سورة الكهف) وكذلك دلالة عدم استجابة الكلب للمؤثرات (وهي الغرض من التشبيه في موضع سورة الأعراف، وهي صفة أصحاب الكهف والكلب في عزلتهم التي كانوا عليها) فاسم (كلب) لازمته دلالات واحدة في كلا الموضعين .

- ناقة : مع (جمل)
- نون : مع (حوت)

---

(٢) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ١٧٤

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (وصد) ٣ / ٤٦٠

الخـــاتـمـــة

قد كان باعثُ هذه الدراسة تلك الملاحظات المتفرقة التي سبقتها عن استعمال القرآن الكريم لعددٍ محدودٍ من الكلمات مع دلالة تلازمها في القران الكريم دون غيره ، وهو ما دفع الدراسة هنا إلى وضع مصطلح لهذه الظاهرة من البيئة البلاغية ، وهو مصطلح اللزوم الدلالي ليكون دالاً على ملازمة (مصاحبة) اللفظ لدلالة ليست من معناه المعجمي ، حيث يُجاور معنى اللفظ دلالة أخرى في جميع المواضع متغايرة المضمون في القرآن الكريم، وقد توجه البحث إلى تطبيق هذه النظرية في مجالٍ دلالي محدد ، اختاره وفقًا لمعيار وضوح معاني ألفاظه في الذهن، وهو مجال أسماء الحيوان ، ليدرس كل اسم منها يرد في القرآن الكريم أكثر من مرة في سياقات متعدّدة المضامين ، مع دراسة مرادفات الاسم ، ويحدد اللزوم الدلالي لكل اسم .

ولم يكن من هدف البحث إثبات وجود اللزوم الدلالي في كل اسم من أسماء الحيوان في القرآن الكريم ، إذ كان هدفه تطبيق هذه النظرية لمعرفة مدى تواجدها في القرآن الكريم وصورة وجودها في السياق ، لكن البحث أسفر عن نتيجة لم يكن يتوقعها الباحث أو يتعمّد إيجادها ، وهي أن اللزوم الدلالي في الأسماء الخاضعة للبحث هنا جاء مع جميع هذه الأسماء ، وبذلك تكون نسبة وجود اللزوم الدلالي في عينة الدراسة (١٠٠ %) والباحث يضع في حُسبانه أن الاتفاق التام على الدلالات الموجودة في كل نص أمر ليس من لوازم البحث الدلالي ، فقد لا يحدث اتفاق على وجود عدد من الدلالات الضمنية أو المستوحاة من السياق في بعض النصوص ، على الرغم من محاولة الباحث استنباط كل الدلالات من قرائن واضحة دون تعسّف في إيجاد هذه الدلالات ، لكن مظنّة عدم الاتفاق أحيانًا على وجود دلالات ملازمة في بعض النصوص لا يغير ما توصّل إليه البحث من وجود ظاهرة اللزوم الدلالي في القرآن الكريم ، وما توصّل إليه البحث من دلالات ملازمة للعديد من الأسماء التي لم تخضع فيما قبل للبحث عن اللزوم الدلالي لها ، فقد لا يكون هناك اتفاق على وجود جميع الدلالات الملازمة للأسماء ، لكن ذلك لا يمنع من الاتفاق على وجود الظاهرة بصورة كبيرة أو وجود جلّ هذه الدلالات الملازمة خاصة الصريحة منها في السياق.

والبحث عن اللزوم الدلالي يعتمد على القراءة العَرْضِيّة (الأفقية) للنصوص ، وذلك بقراءة نصوص متعددة في المضمون مشتركة في استعمال لفظ واحد ، وهي طريقة أخرى في القراءة تختلف عن قراءة النصوص قراءة رأسية داخل تتابع

سياقات السورة الواحدة ، وكذلك تختلف عن قراءة نصوص الموضوع الواحد وهو ما يعرف بالتفسير الموضوعي ، فهذه القراءة في البحث عن اللزوم الدلالي تقرأ نصوصًا لا تشترك في موضوع واحد ، وهو ما جعلها تصل إلى معطيات دلالية قد لاتصل إليها طريقة أخرى في قراءة النصوص ، وذلك لأن هذه القراءة تتميز بأنها لا تنظر إلى النص من خلال موضوعه الرئيسي ، وهو ما يمكّنها من توجُّه رؤيتها في النصوص إلى الدلالات الجزئية صريحة أو ضمنية دون أن يأخذ الموضوع الرئيسي جزءًا من حيز تركيزها في قراءة النصوص ، وهذا هو السبب في أننا قد نقرأ النص أحيانًا دون التوصّل إلى دلالات جزئية أو عميقة يريد النص إبلاغها ، إذ تقرأ عيوننا النص وهي مشبّعة بالموضوع الرئيسي للنص أو الأفكار المتتابعة في سياقات السورة الواحدة ، فإذا ما أزحنا من حيز القراءة الأفكار المتتابعة في السورة والموضوع الرئيسي للنص ظهرت أمامنا بجلاء أكثر العديد من دلالات النص ، والتي تتضح لنا أكثر فأكثر بوجودها متكررة في النصوص الأخرى المشتركة في لفظ واحد .

فمثلاً لم يكن يظهر لي كقارئ للقرآن الكريم يقرأ قوله تعالى: ﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ۝١٩﴾ [لقمان: ١٩] أن خفض الصوت من الزينة ، فقد كان يتصدّر فهمي للآية في السياق الأمرُ بتطبيق نصائح لقمان عليه السلام بإقامة الصلاة والتواضع والاعتدال في المشية وخفض الصوت ، لكن عند معاودة قراءة الآية قراءة عَرْضِيّة مع نص آخر يستعمل اسم (حمير) تظهر دلالة جزئية يصرّح بها النصّ الآخر ، يقول تعالى : ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ﴾ [النحل:٨]، فالآية هنا تصرّح بدلالة الزينة ، وهذه الدلالة الصريحة في سورة النحل موجودة ضِمْنًا في آية سورة لقمان التي تأمر بخفض الصوت ، لأن خفض الصوت من الزينة ، فالقراءة العرضية (الأفقية) للنصوص بحثًا عن اللزوم الدلالي تكشف عن العديد من الدلالات التي قد لا تتضح من قراءة أخرى ، ولذلك ترى الدراسة هنا أهمية هذه القراءة (قراءة جميع النصوص المشتركة في استعمال لفظ واحد) في فهم معاني الألفاظ وتحديد

استعمالاتها وفى تفسير نصوص القرآن الكريم ، وإن لم تكن تلك القراءة بغرض البحث عن اللزوم الدلالي .

والبحث بما بذله من جهدٍ ، وبما توصّل إليه من نتائج ، يجد نفسه متعطّشًا إلى مزيدٍ من العطاء البحثي في تطبيق هذه النظرية ، ولذا يأمل أن تواصل الدراسات البلاغية البحث عن اللزوم الدلالي في بقية ألفاظ القرآن الكريم ، وأن تتوجَّه دراسات أخرى إلى مُراجعات للمعطيات الدلالية ، فهذا البحث من الممكن أن يكون خطوةً أولى كقاعدةٍ ينطلق منها البحث عن اللزوم الدلالي في القرآن الكريم في كافة ألفاظه ، وتركيباته ، وأساليبه ، في سلسلة من الدراسات البلاغية الدلالية التي تعكُفُ على تحليل الآيات بقراءةٍ أعمقَ وأفقٍ أرحبَ يرى البعيد والقريب من معاني النص القرآني ، لعلّها تُسْفِر يومًا عن معجم للزوم الدلالي في القرآن الكريم .

وإذا كان هذا البحث قدّم للدرس العلمي جُهدًا ، وتوصّل إلى نتائج ، وتَطلّع لآمال؛ فإنّي لا أبرح دفتيه إلا وأنا أجزم أنه أسدى إليَّ خيرًا كثيرًا ، فإذا ما كنت قبل البحث على إيمانٍ بأنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى ، فإنّ ما عايشته من درسٍ منهجي في تحليل آيات القرآن الكريم يُقِرُّ في إيماني المسبق أن القرآن الكريم مُغايرٌ كلام البشر في أسلوبه ، فإعجاز القرآن الكريم البلاغي ليس في أدائه أنماطًا بلاغية يؤدي مثيلها البشر ، كالتشبيه والاستعارة ، وإنّما في أدائه للمعاني واستعماله للألفاظ بأسلوب يَعجز عن محاكاته البشر ، كما برهن لي البحث على أن فيض القرآن الكريم ما زال منهمرًا ، وأنّ في أسرار بلاغته ـ التي ما فتئت تتكشف ـ بحثًا سيظلّ خصبًا متجدّد الثمار ، وأنّ لوك جَنْي الماضي في التفسير والبلاغة ركون مستريح إلى إرثٍ عظيمٍ ، لن يمنع من تدفق الخير الوفير إذا ما جدّت العقول المغامرة في البحث وأراد الله تعالى لها الخير .

اللّهم إنّي أسألك عفوًا واسعًا ، وعملاً متقبّلاً ، وأجراً مضاعفًا ، ودعاءً مستجابًا، وسعيًا خالصًا لوجهك الكريم ، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وشفيع الموحدين ، والحمد لله رب العالمين .

محمد سامي عبد السلام حسانين

ملحق (١) جدول يوضح الترابط الدلالي بين السور التي ورد فيها اسم (قردة) وطريقة تكوين اللزوم الدلالي

السورة	(١) دلالة العقوبة	(٢) دلالة اعتداء اليهود	(٣) دلالة المحرم عند المسلمين	(٤) دلالة الجمع بين مكاني التحريم	اللزوم الدلالي لاسم (قردة)
البقرة	مسخ اليهود قردة	الاعتداء يوم السبت دون تفصيل في نوع الاعتداء	المحرم فعله وقت الإحرام دون ذكر الصيد	تعليل التحريم وقت الإحرام بوصف (حاضري المسجد الحرام) بإضافة اسم الفاعل (حاضر) لمكان التحريم	تحريم الصيد في وقت محدد
الأعراف	مسخ اليهود قردة	تفصيل الحديث في نوع الاعتداء يوم السبت بالحديث عن القرية حاضرة البحر		تعليل التحريم يوم السبت بوصف (حاضرة البحر) بإضافة اسم الفاعل (حاضرة) لمكان التحريم	تحريم الصيد في وقت محدد
المائدة	مسخ اليهود قردة		النهي عن صيد البر وقت الإحرام وإباحة صيد البحر	ذكر الكعبة البيت الحرام وهى مكان تحريم الصيد وقت الإحرام ، مع ذكر البحر المباح صيده للمسلمين وقت الإحرام وهو مكان تحريم الصيد يوم السبت عند اليهود	تحريم الصيد في وقت محدد

ملحق(٢): معجم اللزوم الدلالي لأسماء الحيوان وأعضائه في القرآن الكريم

١	إبل	دلالة توجه الخطاب لمشركي العرب الرافضين لرسالة محمد ﷺ ودلالة الطعام الممتنع أكله في الدنيا (وذلك لأنه طعام حرمه المشركون على أنفسهم في الدنيا ، أو لأنه طعام الضريع وهو شوك وسم) وهو طعام لا ينفع المشركين في شيء ، كما لازم اسم (إبل) التعريف بأل ، وأسلوب الاستفهام الإنكاري الذي يراد به الإنكار عليهم مع التعجب من تحريمهم نوعًا من الخلق الواحد ، الذكر أو الأنثى ، وبهما يحدث خلق الإبل، أو التعجب من كيف صنع هذا الخلق الذي يتسبّبُ في بقائه أن جعل الله منه الذكر والأنثى ، فالموضعان يتحدثان أيضًا عن كيفية الخلق .
		بُدْن : الدلالة على مكانة المسمّى وتعظيمه (مَلِك مصر- الهدي) ودلالة ضخامة الجسد وتوظيفها لأغراض دلالية أخرى (الشراء والسن والغرق - الحث على الانفاق) والدلالة على الانقياد لموضع مفارقة الحياة (الغرق - النحر) ودلالة الانتفاع بالجسد بعد مفارقة الحياة (لتكون لمن خلفك آية - الأكل من لحمه وإطعام الفقراء) . بعير : دلالة الزاد ، ودلالة التنقل والترحال ، ودلالة عبور بني إسرائيل وتكوين الدولة العبرية ، ودلالة تعبير الرؤيا ، وذلك لأن هذه الدلالات بينها وبين مادة (بعر) مناسبة . جمل: دلالة وعيد الكفار بعذاب الآخرة ، ووصفهم بالمكذبين والمجرمين، وجاء مع أسلوب التهكم والتحقير ، وأسلوب التشبيه الذي يعتمد على وصف الجمل بالضخامة . ناقة : دلالته على ناقة صالح عليه السلام .
٢	بدن	مع (إبل)
٣	بعير	مع (إبل)
٤	بقرة	دلالة الحديث عن بني إسرائيل ، ودلالة الانتقال من اليسر والإطلاق (ذبح أية بقرة ، إباحة أكل البقر ، سنين الخير) إلى التضييق والتشدّد (صفاتٍ للبقرة التي تذبح ، تحريم جزء من البقر، سنين شداد) ودلالة وجود أمرٍ خفي (قاتلُ النفس ، ما حرمه الله من الأنعام ، الرؤيا التي تنبئ بالمستقبل) ويظهره الله تعالى على يد أحدٍ من أنبيائه .
		عجل : عدم نفع العجل لمن قُدِّم إليهم ، ووجود أثرٍ للرسول على العجل ، وله صلة بالملائكة، وتقديم العجل لضيوف على المكان ، وتصوير العجل في صورة مبهرة ، ووصفه بأنه جسد بلا روح ، وصفة العجلة (السرعة) للنبي المذكور في السياق وليست وصفًا للعجل .
٥	ثعبان	دلالة قلب عصا موسى عليه السلام ثعبان مبين في مقام إظهار الآيات لفرعون ومن معه، وهو ما يناسب وصف الثعبان بالضخامة .
		حيّة : دلالة قلب عصا موسى عليه السلام حية عندما ناداه الله تعالى بالوادي المقدس فهي في مقام تعليم الله تعالى لموسى الآيات وإظهارها دون خوف .
٦	جراد	توجيه الخطاب للكافرين ، وإرسال الآيات الحسية المشاهدة وادّعاء الكافرين أنها سحر ، و معرفة الداعي إلى الحق واللجوء إليه ، وعقوبة الغرق بالطوفان وحدوثه من جهتين ، وإبقاء آية بعد الإهلاك تدل عليه ، وصفة الانتشار والتجرّد من النعيم والزينة ، ودلالة اسم السورة على مضمون الموضع الآخر.
٧	جمل	مع (إبل)

٨	جياد	مع (خيل)
٩	حمار	دلالة أداء الحمار - أو من هو مثله - عملاً ليس له في الأصل ، وجاء في ثلاث صيغ لازمت كل صيغة منها دلالة ، فصيغة المفرد (حمار) جاءت مع إعطاء بني إسرائيل الآيات الدالة على البعث والتي تؤكد قرب الموت والبعث منهم ، وصيغة (حُمُر) جاءت مع نفور الكفار من الوحي ، وصيغة (حمير) جاءت مع الزينة وانتقال الإنسان من مكان إلى آخر.
١٠	حوت	دلالة نفاد الصبر لوجود دافع قوي ، وهو ما يترتب عليه اللوم والمؤاخذة، حيث استعمله القرآن الكريم طعامًا لموسى عليه السلام في رحلته للخضر التي أظهرت له عجزه عن شديد الصبر ، وحِوَاءً ليونس عليه السلام إذ ذهب مغاضبًا فقدَ صبره ، وصيدًا شُرَّعًا يوم السبت لم يصبر على فواته أهل القرية .
		نون : إذا كان اسم (حوت) لازمته دلالة نفاد الصبر واللوم عليه ، فإن اسم (نون) لازمته دلالة التشريف ، سواء كان من ذكره في مقام الثناء على يونس وذكر تسبيحه، أو من قسم الله تعالى باسم (نون) .
١١	حيّة	مع (ثعبان)
١٢	خنزير	دلالة الحديث عن بغي اليهود ، وأكل الحرام ، والافتراء على الله تعالى في أحكامه وحدوده ، فاسم (خنزير) جاء في أربعة مواضع في تحريم أكل لحم الخنزير على المسلمين ، وقد اقترن في هذه المواضع بالحديث عن اليهود وأكلهم الحرام بالكذب على الله تعالى وتحريف آياته ، وجاء اسم (خنزير) في الموضع الخامس في بيان عقوبة فئة من اليهود لأكلهم السحت وذلك بأكلهم المال الحرام من تحريف آيات الله تعالى وأحكامه، فمع اختلاف المضامين يأتي لزوم دلالي واحد ، إذ لا توجد علاقة في الأصل بين الحديث عن تحريم أكل لحم الخنزير على المسلمين ، والحديث عن اليهود وأكلهم الحرام ، وقد كانت عقوبة فئةٍ منهم أن جُعلوا خنازير لأكلهم الحرام .
١٣	خيل	دلالة أداء عمل نفسي (الزينة ، الرعب ، الغواية) ولم يوصف حال كونه في ساحة القتال يؤدي دوره في الإقدام والاعتراك مع العدو ، وجاء مع اسم خيل دلالة وجود سبيلين متقابلين (زينة الدنيا وما عند الله تعالى من جنة ، سبيل القصد المعتدل وسبيل الجور ، الحرب والسلم ، النصر بقتال والنصر بالحصار دون القتال ، احتناك الشيطان أتباعه من ذرية آدم وعدم وجود سلطان له على عباد الله تعالى) وكذلك جاء اسم (خيل) مع حديث السياق عن الملائكة بوصف نصرتهم للمؤمنين، وتأييد الله تعالى لعباده برسله من الملائكة. وتنوّعت الصيغ التي ورد بها الاسم وجاءت كل صيغة مع دلالة تختصّ بها عن بقية الصيغ ، وذلك كما يلي: ١- صيغة المفرد المجرور المعرف بأل (الخيل) : يميز هذه الصيغة أنها جاءت بوصف الخيل للزينة وللرباط مع حديث السورة عن غزوة بدر . ٢- صيغة المفرد المجرور النكرة (خيلٍ): وجاءت هذه الصيغة في سورة الحشر مع الحديث عن غزوة بني النضير، مع وصفها بصفه سلب (فما أوجتفتم عليه من خيل) فهذه الخيل توصف بعدم أداء العمل الذي كانت معدّة من أجله ، كما اختصت هذه الخيل بتواجدها في غزوة بلا قتال . ٣- صيغة المفرد المجرور المضاف للضمير (بخيلِك) : وجاءت هذه الصيغة بوصفها خيل الشيطان ، فهي في سياق استعمالها في غواية بني آدم وعداء الشيطان لهم. ٤- صيغة المفرد المنصوب المعرف بأل (الخيل): جاءت مع وصف استعمال الخيل للركوب والزينة دون أن تتحدث السورة (سورة النحل) عن العداء والقتال . فيلاحظ أن صيغة المعرف بأل المجرورة (الخيل) تشترك مع صيغة المعرف بأل

		المنصوبة (الخيل) في وصفها بصفةٍ محببة (الزينة والرباط) مع تميز الصيغة التي في موقع الجر بمجيئها في سورة تتحدث عن غزوة بدر التي دار فيها القتال، أما الصيغة التي في موقع النصب فقد جاءت دون حديث السورة عن القتال ، وكذلك يلاحظ أن الصيغ التي جاءت في موقع الجر (الخيلِ ، خيلٍ ، بخيلِك) جاءت مع وجود دلالة العداء بين المسلمين وغيرهم ،وجاءت صيغة (الخيل) المنصوبة من غير وجود دلالة العداء، وتميزت صيغة النكرة (خيلٍ) بالحديث عن غزوة لا قتال فيها ، كما تميزت صيغة (خيلِك) بالإضافة إلى الشيطان واستعمال الخيل لغواية المؤمنين ، فهو خيل غير مشاهد لنا مثل بقية الخيل في المواضع الأخرى .
		جياد : دلالة استعمال الجياد أداة لمُلك سليمان عليه السلام وهو المُلك الذي اتسم بمظاهر القوة والقدرة. ولم تكن للجياد في ذاتها أثر نفسي عند سليمان عليه السلام، ولم يكن شغوفا بها أو بزينتها ، وإنما أراد بها الجهاد في سبيل الله تعالى ، فلم يأتِ اسم (جياد) مع دلالة أداء عمل نفسي ، كما لا نجد في الآيات دلالة وجود سبيلين متقابلين كما هو موجود مع اسم (خيل). عاديات : وصف الخيل حال الغزو والقتال .
١٤	ذراع	دلالة القيد المكاني ، والشعور بالخوف ، وجاء اسم (ذرْعًا) لدلالة القيد المعنوي والشعور بالخوف .
١٥	طائر	صيغة الجمع (طير) تلازمها دلالة الصفات المحمودة للطير من تسبيح ومناصرة للرسل ومعاداة للكافرين ، أما صيغة المفرد (طائر) فتلازمها دلالة كتابة العمل الحسن والعمل السيئ والمجازاة عليه ، وحديث السياق عن المكذبين الذين سيُلزَمون بعملهم ، فعملهم هذا هو طائرهم الذي يصعد للسماء وينزل عليهم بالجزاء . وجاءت أسماء (هدهد ، غراب ، سلوى) في قصص تدل على الصفات المحمودة للطير ، ويدل كل اسم منها على أحداث القصة الوارد فيها ، فالهدهد يدل على الهداية والهدية ، والغراب يدل على غرابة قتل الإنسان لأخيه ، والسلوى يدل على الكشف .
١٦	عجل	مع (بقرة)
١٧	عاديات	مع (خيل)
١٨	غنم	دلالة التشريع لبني إسرائيل (بتشريع ما يحرم أكله من الغنم ، وتشريع موسى الذي أنزلت عليه التوراة ، وتشريع داود وسليمان) ودلالة التحوّل من صورة مقبولة معتادة إلى صورة مرفوضة مستنكرة (بتحوّل الشحم المتروك أكله إلى مادة ذائبة تباع ويأكل ثمنها ، وتحوّل العصا التي يمشي بها موسى على الغنم إلى حية يخاف منها موسى والغنم ، وتحوّل الحرث بثماره النضرة إلى نفش كالقطن المنفوش) ودلالة وجود عنصرين مختلفين يجتمعان في شيء واحد (باجتماع المباح من اللحم والشحم مع المحرم من الشحم في الذبيحة الواحدة ، واجتماع صفة الجماد اليابس مع صفة الحياة والحركة في العصا ، أو اجتماع النورانية مع طبيعة اليد البشرية ، واجتماع الطعام المباح رعيه للغنم مع الطعام غير المسموح برعيه) ودلالة وجود حكمين أي طريقتين أو شريعتين لنبيين ، يوصف أحد الحكمين باليسر ، والآخر بالشدة (التشديد والتضييق في شريعة اليهود والتيسير في شريعة الإسلام ، الشدّة في طريقة موسى واللين في طريقة هارون ، الشدّة في حكم داوود والتيسير في حكم سليمان) فهناك طريقتان مختلفتان في الحكم مع أن كل حكم منهما صواب وينسب لنبي من أنبياء الله تعالى .
١٩	قردة	تحريم الصيد في وقت محدد ، مع الاشتراك في وصفٍ واحدٍ لمكان التحريم والنهي

		عن الصيد بفعل التعدي، حيث يجمع اسم (قردة) بين صورتي التحريم ، وهما تحريم صيد البحر يوم السبت وتحريم صيد البر وقت الإحرام ، عن طريق وصف عقوبة من خالف التحريم الأول وهي المسخ قردة ، ليكون هذا الجمع بمنزلة التشبيه بين الحُكمين غرضه الوعيد لمن خالف هذا التشريع ، كما يفيد وجود أصول واحدة لأحكام الشرائع السماوية مع اختلاف فروعها (أشكال تطبيق الأحكام التعبدية) لتتميز كل شريعة عن الأخرى .
٢٠	كلب	دلالة إقامة الحجة على اليهود بإنزال آيات تخبرهم قصص السابقين التي لديهم دراية بها، ودلالة ثبوت الكلب على حالة واحدة مع تغير حركة من معه من البشر ، وصورة بسط الكلب لعضو من أعضائه ، ودلالة افتراش الأرض (التي جاءت للرجل الذي يشبه الكلب في سورة الأعراف ، وجاءت للكلب في سورة الكهف) وكذلك دلالة عدم استجابة الكلب للمؤثرات (وهي الغرض من التشبيه في موضع سورة الأعراف ، وهي صفة أصحاب الكهف والكلب في عزلتهم التي كانوا عليها) فاسم (كلب) لازمته دلالات واحدة في كلا الموضعين .
٢١	ناقة	مع (جمل)
٢٢	نون	مع (حوت)

ثبت المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم .
١ – الألوسي ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود (١٢٧٠ هـ) : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث ، بيروت ، د.ت .
٢- البخاري ، محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ) : صحيح البخاري ، دار المنار ، القاهرة ، ١٤٢٢هـ-٢٠١١م
٣ – الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (٤٢٩ هـ) : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥ م
٤- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (٢٢٥ هـ) :
- البيان والتبيين ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٥م.
- الحيوان ، تحقيق / عبد السلام محمد هارون ، مطبعة الحلبي ، الطبعة الثانية .
٥- د. حسن طبل ، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .
٦ – الرازي ، محمد فخر الدين بن ضياء الدين عمر (٦٠٤ هـ) : التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.
٧- الراغب ، الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني (٤٠٣هـ) : معجم مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠م .
٨– الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله (٧٩٤ هـ) : البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية .
٩– الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي (٥٣٨ هـ): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، مكتبة مصر ، القاهرة ، د . ت .
١٠– أبو السعود ، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (٩٨٢ هـ) : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م .
١١ – السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (٩١١ هـ) : الإتقان في علوم القرآن ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، د . ت .
١٢- د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني :
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢ م .

- دراسات جديدة في إعجاز القرآن، مناهج تطبيقية في توظيف اللغة، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

١٣ – عبد القاهر الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (٤٧١هـ):

دلائل الإعجاز ، تحقيق / محمود محمد شاكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م .

١٤ – الكاشاني ، كمال الدين عبد الرازق بن محمد (٧٣٠ هـ) : اصطلاحات الصوفية ، تحقيق: د.عبد الخالق محمود ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية.

١٥ – ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (٧٧٤ هـ) :

- تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : محمد ناصر الألباني ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢ م.

- قصص الأنبياء ، تحقيق: محمد عبد الملك الزغبي ، دار المنار ، القاهرة ، الطبعة الثانية.

١٦ – محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م .

١٧- مسلم ، أبو حسن بن الحجاج بن مسلم (٢٦١ هـ) : صحيح مسلم بشرح النووي ، دار الفجر ، القاهرة ، الطبعة الأولى .

١٨- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (٧١١ هـ) : لسان العرب ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، طبعة بولاق ، د . ت .

١٩- النوَوي ، محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف (٦٧٦ هـ) :

رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م.